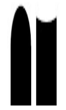
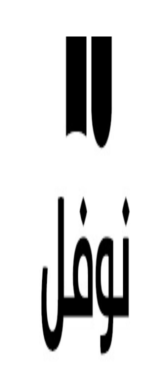

نزار قباني
أشعار مجنونة
نوفل

نزار قباني

أشلاءٌ مُرْحلة




نوفل

صدرت عام 2017 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورِست
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

تصميم الغلاف والداخل: **بسكال زغبي**
اقتباس التصميم: **ماري تريز مرعب**
متابعة النشر: **نجلا رعيدي شاهين**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-438-515-9
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-438-516-6

تقديم

بعضُ هذا الحديث عن نزار له في ضميري ثلاثين سنة، وبعضٌ تفجّر أمس، مع آخر حرف كتبه.

وخاطري من هذا... وذاك... امتلأ بربيع يُهَدهِدُ الوجود، وبمطرٍ من ألف داوودَ وداوود. فماذا أقول؟

كُتُبٌ كُتِبَت عنه. آلافُ التعليقات سُطِّرَت. أكوامٌ من الصلوات واللعنات سالت على الدروب حوله...

وهو نفسُه كتابٌ مفتوح، وعلى أسنان المطابع كلَّ يوم صفحة منه!

وإذا كان بعضُ المبدعين، يزداد على التحليل غربةً وبعدًا يغيب في الضباب ليصبح أسطورة، فنزار لا يحتاج إلى مَن يضع له الأصباغ، وينثر الشموس في عينيه... فماذا أقول؟

بعفويَّتها الكاملة عرفت الجماهيرُ العربيةُ هذا الصوتَ الشعريّ المميّز، وأحبّته غَجَريًّا يغنّي... أو سَوطًا دمويًّا يجلد... أو ثائرًا يفترس الشرايين. عرفت في صوته صوتها، لأنَّ نزار ليس بشاعر فقط، إنّه ظاهرة شعرية.

حروف اسمه الأربعة تختصر اليوم دنيا الشعر العربيّ كلّه.

شعره يكتسحك كالفرح، يغمرك بفيضٍ متنوّع من الدهشة من اللا متوقّع، من خصب السنابل وهي حصيد، من صراخ الدم الحار ومن رائحة الحزن، ومن مداد كالسكاكين.

إنّه ماردُ شعر، بوجه طفل وبراءة طفل.

وفي الأزمات القومية لا ينداح نزار مثل غصن مكسور، ولكنّه يتوهّج كالبركان المشروخ. يصبح شاعر الجرح والأمل معًا، ونجدنا جميعًا نشرب الشمس من صوته.

ولقد كتب نزار من الشعر عشرات المواسم من الأمطار والسنابل، وأطعم الجياعَ خبزًا وحُبًّا.

كعملاق النار اختصر المسافة ما بين لا نهائية الفلك وشفتيّ عاشقَين...

وفي زمن القحط، هذا الذي يقتلنا ونقتله، أعطى حياتنا وردة، نسج حناجرنا المشلولة صوتًا... وسافر في العيون المكدودة، كلِّ العيون، يزرع الرفض والأمل في وقت معًا. فماذا أضيف إلى مداه الممتدّ بقدر جموح الأحلام، وبمساحة كلّ الأحلام؟

حسبي هامشٌ واحدٌ جدَليّ... لعلّه سرُّ الأسرار عنده...

نزار شاعرٌ ذو قضيّة.

كالشظيَّة في الجرح، كذلك قضيّته في صدره...

ليس شعره مجّانيًّا لوجه الشعر. وما كان يومًا بائع الحبّ المتجوّل، وإنّما كان بائع التمرّد...

تلك القبيلةُ من النساء التي تدخل دواوينه وتخرج... ليست سوى بُعْد من أبعاد القضيّة.

وتلك الزلازل البركانية التي يُطلق في الأزمات القومية هي بُعْدٌ آخر منها...

وذلك النزف الأسبوعيّ الذي أدمنه من سنوات... يكتب... ويكتب... بكلّ انفعال الثائر يكتب... هو بُعْدٌ ثالث أيضًا...

والقضيّة هي القضيّة: قضيّة قومه وأهله.

القلب الغجريّ الذي يطفو على سواقيه الجارية ليس مضغة دم ترقص للقيثار والحبّ... ولكنّه غابة حزنٍ تنادي الأنقى والأطهر.

الذين يقرأون لنزار لا يعرفون مأساته.

تلفُّهم الخلاخيلُ، وخيوطُ العطر، فلا يشعرون ببكائه الأخرس. الثوريّ الصوفيّ الذي في أعماقه هو سرُّه الأعظم وحقيقته الكبرى.

إنّه مصلوب إلى مأساة أمّة.

كلُّ قصائده صراخٌ في لا نهائية الدياجير... هجومٌ على الموت...

دموعه تتجمّع كالسواقي الوحشية تحت الأرض لتغذّي هذا الحقل الممدود من الأزهار السمفونية الألوان...

الناس – كما قال – يعرفونني عاشقًا كبيرًا... ولا يريدون أن يعرفوني غاضبًا كبيرًا... بلى إنّه أوّلًا غاضبٌ كبير...

إنّه ينام على سريرٍ من المسامير المُحَمّاة، هذا الذي يتصوّرون أنّه يعيش سعيدًا على عرش من القلوب المذهّبة.

نزار ثورة...

غَضَبٌ كلُّه... لأنَّه حبٌّ كلُّه...

نزار التحدّي اخترق الجدار الحرام بين العربيّ وجسده...

دمَّر السور المضروب بين العربيّ ولغته الشعرية...

ومزَّق حاجز النفاق بين عنترة الخيل وبين ما يستر من بدائيّة القبيلة، وأكوام العفن والخدر، وتهافت القوافل، وقُوّاد القوافل...

نزار طلب للجسد وثيقةَ ردِّ اعتبار، وللغة نسمة حياة، ولعنترة موقف بطولة وشهادة طهر...

تَفَرَّد نزار، وكان هذا التفرُّد جريمته الكبرى...

وقد آمن نزار مبكرًا أنّ الشعر والثورة وجهان لمسمّى واحد. لأنَّه امتلاءً بالشمس، أراد أن تكون حروفه غضبًا يسطع... يهدر... يدمِّر...

أراد لكرومه أن تعصر خمرًا وجنونًا...

أرادَ للشعر – كما قال – أن يُغيِّر صورةَ الكون...

أن يُحدث ارتجاجًا في قشرة الكرة الأرضية... وفي خريطة الإنسان.

وحين ضاقت المساحة الشعرية عن ثورة نزار، حين عجزت قيودها عن حمل قضيّته، نقل القضيّة إلى النثر... إلى الكلمة الحرّة المحمَّلة طيبًا، ووحيًا، وزلازل...

منذ سنوات صار للقضيّة لغتُها الشعرية الأسبوعية، وصارت حتّى السياسة بعضَ الشعر...

صارت الكلمةُ رصاصة. تَساوى في الحروف معنى الرصاص والغَزَل.

وحدها القلوب الثورية الكبيرة هي التي تستطيع أن تجمع بين هذين القطبين.

بكلِّ عفوية الشاعر الثوريّ، اختار نزار أن يعيش في الجماهير ومع الجماهير، يُخاطبها ببراءة الطفل، وتفهمه ببراءة الطفل...

نزار... رمى نفسه في الموج ليكون جزءًا من حركة البحر المجنون.

رفض أن ينام كالآخرين على الساحل، يتأمّل من بعيد... ويتفلسف.

رفض الغربة والعزلة... وأصرَّ على أن ينام في ضمائر الجموع.

الناسُ، هم البداية والنهاية عنده...

لهم يغزل الحبَّ والأمل والفرح، ويُوقد القنديل الأخضر...

وإذا كانت الثورة تفجيرًا للشموس... ممارسةً عنيفة للفرح... فإنّ نزار هو شاعر الفرح الكبير...

إنّه كان، منذ كان، يدًا في الصلصال، ويدًا على الغد الأجمل.

إنّه إنّما يناضل ليوقف طوفان اليأس.

نزار... حالةُ شوق دائم...

حالةُ حبّ... تمتدّ دون نهاية...

نزارٌ شعرٌ... وكفى!

أغريب بعد هذا أن يُصبح نزار أغنيةً في خاطر الملايين... أن ينامَ تحت مخدّة الملايين؟

د. شاكر مصطفى

رئيس قسم التاريخ بجامعة الكويت

الكويت، نوفمبر ١٩٨١

إذا...

إذا تصفَّحتِ يومًا، يا بَنَفسَجَتي
هذا الكتابَ الذي لا يُشبهُ الكُتُبا

تَباركي بحُروفي. كلٌّ فاصلةٍ
كتبتُها عنكِ يومًا، أصبحَت أَدَبا

أنا... أنا... بانفِعالاتي وأَخيِلَتي
ترابُ نَهدَيكِ، قد حَوَّلتُهُ ذَهَبا

مؤرِّخُ النساء

إقرأيني... لتُحِسّي دائمًا بالكبرياءْ

إقرأيني... كلَّما فتَّشتِ في الصحراءِ عن قطرةِ ماءْ...

إقرأيني... كلَّما سَدّوا على العُشّاقِ أبوابَ الرجاءْ

أنا لا أكتُبُ حزنَ امرأةٍ واحدةٍ

إنَّني أكتُبُ تاريخَ النساءْ

نَبضُ الورق

شِعري أنا قلبي، ويظلمُني

مَن لا يرى قلبي على الوَرَقِ

أحلى الكلام

قصائدي قَبلَكِ، يا حُلوَتي
كانَت كلامًا مثلَ كلِّ الكلامْ

وحينَ أحبَبتُكِ، صارَ الذي
أكتُبُهُ للناسِ، أحلى الكلامْ

الكتابةُ بالأهداب

إنَّ القصيدةَ ليس ما كَتَبَت يدي

لكنَّها ما تكتُبُ الأهدابُ

أنـا

لي غرفةٌ في
دروبِ الغيمِ، عائمةٌ
على شريط ندى، تطفو وتَنزَلِقُ

مَبنِيةٌ من غُيَيماتٍ مُنَتَّفَةٍ
لي صاحبان بها: العصفورُ والشَفَقُ

أمامَ بابيَ نَجماتٌ مكوَّمَةٌ
فتستريحُ لدينا، ثمَّ تنطَلِقُ...

فللصباحِ مرورٌ تحتَ نافذَتي
وفي جوار سريري... يرتمي الأُفُقُ

▪

غدًا... ستحتشدُ الدنيا لتقرأني
ونَخبَ شِعري، يدورُ الوردُ والعَرَقُ

اليومَ، بضعةُ أزرارٍ، سيعقبها
أُخرى، وفي كلِّ عامٍ يطلعُ الوَرَقُ

الصفحةُ الأولى

عشرينَ عامًا فوق دربِ الهوى
ولا يزال الدربُ مجهولا...

عشرينَ عامًا، يا كتابَ الهوى
ولم أزَلْ في الصفحةِ الأولى

أنتِ... ثمَّ النساء

في البدءِ كان الشعرُ، والنثرُ هو استثناءْ

في البدءِ كان البحرُ، والبَرُّ هو استثناءْ

في البدءِ كان النهدُ، والسَفحُ هو استثناءْ

في البدءِ كنتِ أنتِ... ثمَّ كانتِ النساءْ...

العطرُ يُرى... الصوتُ يُشَمّ...

تخيَّلتُ... حتّى جعلتُ العُطورَ

تُرى... ويُشَمُّ اهتزازُ الصَدى...

معطفُ السُنونو

حُروفي... جموعُ السُنونو تَمُدُّ

على الصحوِ، مِعطَفَها الأَسوَدا

موقف

كلُّ أُنثى أُحِبُّ، أَوَّلُ أُنثى

ليس عندي في الحُبِّ، حبٌّ أَخيرُ...

تقاسَمَتها النساء

أكَلَ الحبُّ من حَشاشَةِ قلبي

والبقايا... تقاسَمَتها النساءُ

ثقافة

عـلَّمَني حُبُّكِ،
كيف الحبُّ يُغَيِّرُ خارطةَ الأزمانْ
عَلَّمَني أنّي حين أُحِبُّ،
تكُفُّ الأرضُ عن الدَوَرانْ

المرأَةُ الوَطَن

أَنتِ البلادُ التي تُعطي هويَّتَها

مَن لا يُحبُّكِ، يبقى دونما وَطَنِ...

لماذا أُحبُّك؟

إنّي أُحبُّكِ كي أبقى على صلةٍ

باللّـهِ، بالأرضِ، بالتاريخِ، بالزمَنِ

تحرير الرجل

ماذا سأفعلُ في خمسينَ جاريةً
وليس واحدةٌ فيهنَّ تعشَقُني

يا امرأةً... تتمنّى أن أُحرِّرَها
في حين أَبحَثُ عن أُنثى تُحرِّرُني

حُبُّكِ... مطلبٌ حضاريٌّ

أنا لا أطمحُ أن أُصبحَ قيصَرْ

لا ولا أطمحُ أن أستلمَ العَرشَ،

فعرشُ الشعر أكبرَ.

كلُّ ما أرجوهُ يا سَيِّدتي

أن تُحِبّيني قليلًا...

لا لشيءٍ... إنّما كي أتحضَّرْ

واحدة فقط

أنتِ النساءُ جميعًا... ما مِنِ امرأَةٍ

أَحبَبتُ بَعدَكِ، إلّا خِلتُها كَذِبا...

شكرًا

شكرًا لحبّكِ... فهو أكرَمَني
وأَدَّبَني، وعلَّمَني عُلومَ الأوَّلينْ
واختارَني مَلِكًا...
وتوَّجَني
وعمَّدَني بماء الياسمينْ.

شيخ قبيلة الحُبّ

أنا قبيلةُ عُشّاقٍ... بكامِلِها

ومن دموعي سقيتُ البحرَ والسُحُبا

فكلُّ صَفصافَةٍ حوَّلتُها امرأَةً

وكلُّ مِئذَنَةٍ رصَّعتُها ذَهَبا

التوبةُ المستحيلة

ما تُبتُ عن عِشقي، ولا استغفرتُهُ

ما أَسخَفَ العشّاقَ لو هُم تابوا...

محاكم غير شرعية

... فلا تستغربي أبدًا

أيا عُصفورَةَ الصيفِ الرَماديهْ

إذا اغتالوا أزاهيري

فهذا العصر يؤمِنُ بالأزاهير الصناعيهْ.

ولا تبكي عليَّ إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي إباحيهْ

فكلُّ محاكم العشّاق في وَطَني

مَحاكِمُ غيرُ شرعيهْ

الحبُّ دفاع عن النفس

أنا هاربٌ من عصرِ تكفين النساءِ

وعصر تَقطيعِ النهُودِ

فضعي يديكِ كنجمَتينِ على يدي

فأنا أُحبُّكِ... كي أُدافعَ عن وُجودي.

حبٌّ... بلا خرائط

ليس للحُبِّ ببيروتَ خرائطْ

لا ولا للعِشقِ في قلبي خرائطْ

فَخُذيني حيثُما شِئتِ...

فإنَّ الحُبَّ في بيروت، مثل الله، في كُلِّ مكانْ.

وَطَنٌ في معطف الفرو

عندما تُمطرُ في بيروتَ، أحتاجُ إلى بعض الحنانْ

فادخُلي في معطفي المُبتَلِّ بالماءِ،

ادخُلي في كنزة الصوفِ، وفي جِلدي، وفي صوتي،

امنَحيني وَطَنًا في معطف الفرو الرماديِّ،

كُلي من عُشبِ صدري كحِصانْ.

رائحة تلفونية

هَمسَتُكِ الحُلوَةُ في الهاتِفِ

أحلى من المعزفِ والعازِفِ

لا تَقطَعي سَحبَةَ قيثارةٍ

عنّي، دمي للموعدِ الخائفِ

أكادُ أستنشقُ – رغمَ المدى –

رائحةَ القميصِ... والسالِفِ...

الآن نبدَأ

عشرينَ ألفَ امرأَةٍ أَحبَبتْ
عشرينَ ألفَ امرأَةٍ جَرَّبتْ

وعندما التقيتُ فيكِ يا حبيبتي
شعرتُ أنّي الآنَ قد بَدَأتْ...

ماذا على شفتي السفلى تركتِ؟

عامانِ مرّا عليها، يا مُقَبِّلَتي
وعِطرُها لم يَزَل يجري على شفتي

إذ كانَ شَعرُكِ في كَفَيَّ زوبعةً
وكان ثغرُكِ أحطابي وموقدَتي

ماذا على شفتي السفلى تركتِ؟... وهل
طَبَعتِها في فمي المُشتاق... أم رِئَتي؟

عاصمةُ العواصم

أنا الذي جعلتُ من قصائدي

عاصمةً تحكمها النساءْ

فأَيُّ ثغرٍ مُغلَقٍ

يقولُ في مملكَتي جميعَ ما يَشاءْ

وأَيُّ نهدٍ خائفٍ

يقدرُ أن يطيرَ أو يحطَّ

في الوقتِ الذي يشاءْ...

الكنيسة

خطيئتي أنّي نقلتُ الحُبَّ من كُهوفِهِ

إلى الهواء الطَلَقْ...

وأنَّ صدري صار يا حبيبتي

كنيسةً مفتوحةً لكُلِّ أهل العِشقْ

اكتفاء ذاتيّ

عَيناكِ من حُزني خَلَقتُهُما

ما أنتِ؟ ما عَيناكِ؟ من دوني

ما همَّني، ما تشعرينَ بهِ

إنَّ افتِكاري فيكِ يكفيني.

سيرةٌ ذاتية

أَأَقولُ أُحبُّكِ... يا قَمَري

آهٍ لو كانَ بإمكاني

فأنا إنسانٌ مفقودٌ

لا أعرفُ في الأرضِ مكاني

ضيَّعني دربي... ضَيَّعَني

إسمي... ضيَّعَني عُنواني

تاريخي؟... ما ليَ تاريخٌ

إنّي نِسيانُ النِسيانِ

إنّي مَرساةٌ لا ترسو

جُرحٌ بملامحِ إنسانِ...

حبٌّ... على الطريقةِ الإسبانية

هل أَرحَلُ عنكِ؟... وقصَّتُنا

أحلى من عودةِ نَيسانِ

أحلى من زَهرَةِ غارديِنيا

في عُتمةِ شَعرٍ إسبانيّ...

مَن يرفضُ السكنى على كوكَب؟

يَدُكِ التي حطَّت على كتِفي
كَحَمامةٍ نَزَلَت لكي تشرَبْ

عندي تُساوي ألفَ مملكةٍ
يا لَيتَها تَبقى، ولا تَذهبْ

تلكَ السبيكةُ... كيف أرفُضُها
مَن يرفُضُ السُكنى على كوكَبْ؟

حبٌّ في الأربعين

رَجُلٌ أنا... كالآخَرينْ

بطهارتي، ونَذالتي

رَجُلٌ أنا كالآخَرينْ

رَجُلٌ يُحِبُّ – إذا أحَبَّ –

بكُلِّ عُنفِ الأربعينْ

لو كنتِ يومًا تفهمينْ

ما الأربعونَ... وما الذي يَعنيهِ حُبُّ الأربعينْ

يا بِضعَةَ امرأَةٍ...

لو أَنَّكِ تفهمينْ.

لم يبقَ شيءٌ... لم يبقَ أَحَد

ما لونُ عينيكِ؟ إنّي لستُ أذكُرُهُ
كأنّني قَبلُ، لم أعرِفهُما أَبَدا

إنّي لأبحث في عينيكِ عن قَدَري
وعن وُجودي، ولكن لا أرى أَحَدا...

ديكُ الجِنّ

أَكرَهُها... وأَشتهي وصلَها
وإنّني أُحِبُّ كُرهي لها

يُحِبُّها حقدي، ويا طالما
ودِدتُ – إذ طوَّقتُها – قَتلَها...

رَصْد

هَرَبَ الرداءُ وراءَ رُكبَتِها

فنعمتُ في ماءٍ وفي ظِلِّ

وركضتُ فوق الياسمين، فمنْ

حقلٍ ربيعيٍّ إلى حَقلِ

فإذا المياهُ هناكَ باكيةٌ

تصبو إلى دفءٍ، إلى وَصلِ

▪

لا تمنعي عنّي الثلوجَ... ولا

تُخفي تثاؤبَ مِئزَرٍ كُحلي

إنّي ابنُ أَخصَب بُرهةٍ وُجِدَتْ

لا تُزعجي ساقَيكِ... بل ظَلّي.

ضلالٌ يبكي عليه اليقين

إجمَعي شَعرَكِ الطويلَ... يُخيفُ الليلَ
هذا المُبَعثَرُ... المجنونُ...

لا أُريدُ الوضوحَ، كوني وشاحًا
من دخانٍ، وموعدًا لا يَحينُ

▪

لا تجيئي لموعدي... واترُكيني
في ضلالٍ يبكي عليه اليقينُ

يدُ الشهوة

لا تقطعي الإيقاعَ، لا تَقطَعي
ودمِّري حولي حُدودَ الثواني

وأَبحِري في جُرحِ جُرحي، أنا
لشَهوَتي صوتٌ، لجوعي يَدانِ.

جروحُ الجروح

وميعادٌ على فَمِها شحيحُ
يحاولُ أن يَبوحَ... ولا يَبوحُ

يُريدُ ولا يريدُ، فيا لَثَغرٍ
على شطَّيهِ يحتضِرُ الوضوحُ

ويدعوني إليه، ورُبَّ وَعدٍ
لهُ نَبضٌ، وأعصابٌ، وروحُ

وكم شفّةٍ بها عَطَشُ الدوالي
عليها الحرفُ مُبتَهِلٌ ذبيحُ

يُراودُني، ويُنكرُ مُدَّعاهُ
فأرجعُ، والجروحُ لها جروحُ.

الاغتصابُ الرائع

قالَ ما قالَ، فالقميصُ جحيمٌ
فوق صدري، والثوبُ يقطر نَشوَهْ

يَغصِبُ القُبلَةَ اغتصابًا، وأَرضى
وجميلٌ أن يُؤخَذَ الثغرُ عُنوَهْ

ويجوعُ جوع

ويسعُلُ صدرُ موقدَتي لهيبًا
فيسخُنُ في شراييني النجيعُ

وتلتفتُ الستائرُ في حنينٍ
وتذهلُ لوحةٌ... ويجوعُ جوعُ...

حوارٌ مع رِداء

مرحبًا يا رداءُ، يا صَيحَةَ الطِّيبِ
وصُبِّحتَ بالرضا يا رداءُ

يا مريضَ الخيوطِ، يا أصفَرَ الهَمسِ
صباحي عليكَ وردٌ وماءُ

▪

لكَ ما شئتَ... معصمٌ، وذراعٌ
ثمَّ نهدٌ... مِخدَّةٌ بيضاءُ

لكَ بالخَصرِ وَقفَةٌ، وعلى الردفِ
انهيارٌ، وشَهقَةٌ، وارتماءُ

ووراءَ الوراء... ثمَّة خيطٌ
أَكَلَت منهُ... حَلمَةٌ حمقاءُ

هي أَعطَتكَ ما تريدُ... فَصَفِّقْ
واسترِح يا رداءُ... حيثُ تشاءُ

تناسُخ

هل أقبَلَت طفلتُها بَعدَها
تفجعُني بأُمِّها النازِحَهْ؟

أخذتُها مُقَبِّلًا باكيًا
أمّا بها من أُمِّها رائحَهْ؟

... ونـهدُكِ في خير

أنا الحبُّ عندي، جِدَّةٌ وتطرُّفٌ
وتكسيرُ أبعادٍ، ونارٌ لها أكلُ

أُحبُّكِ تعتزّينَ في خَمسَ عشرةٍ
ونَهدُكِ في خيرٍ، وخَصرُكِ مُعتَلُّ

إستفزاز

إذهبي، غَيِّري مكانَكِ، إخفي

ترفَ الساقِ، أنتِ أصلُ شُحوبي

أدخِليها لوكرِها، كلُّ عِرقٍ

من عروقي يصيحُ: أينَ نصيبي؟...

توأما الورد

سنبقى، وحين يعودُ الربيعُ
يعودُ شذانا وأوراقُنا

إذا يُذكَرُ الوردُ في مجلسٍ
مع الوردِ، تُذكَرُ أخبارُنا

حَلَمَة

يا حَبَّةَ الرُمّانِ جُنّي

والعَبي... ودُوري...

ومَزِّقي الحريرَ يا

حبيبةَ الحريرِ.

عندما يؤمنُ الإلحاد

ومتى تدركينَ؟ أنَّكِ أُنثى

عند نَهدَيكِ... يؤمِنُ الإلحادُ

المرأة السحابة

يا تَوبَتي، وهواكِ يأكُلُني
صعبٌ بأن تتجاهلي شوقي

مُرّي بجوع بيادري كَرَمًا
وتقطّري سُحُبًا على أُفقي

الأمير

ما الذي أكتُبُ عن حُبِّكِ، يا سيِّدَتي؟
كلُّ ما تذكُرُهُ ذاكرَتي
أنّني استيقظتُ من نومي صباحًا
لأَرى نفسي أميرا...

إنّها تُمطِرُ ياسمينا

عندما يضربُنا الحبُّ على غير انتظارٍ

كيفَ نَغدو كالتلاميذ الصغارِ؟

أبرياءً، ساذجينا

ولماذا عندما تضحكُ محبوبتُنا

تُمطِرُ الدنيا علينا ياسمينا؟

اختراع

الحبُّ في الأرضِ، بعضٌ من تَخَيُّلِنا

لو لم نَجِدهُ عليها... لاختَرعناهُ...

ذاكرةُ الغرفة

هُنا جريدَتُهُ... في الركنِ مُهلَةٌ
هنا كتابٌ معًا... كُنّا قرَأناهُ.

على المقاعدِ... بعضٌ من سَجائرِهِ
وفي الزوايا... بقايا من بقاياهُ...

تحذير

يا طفلةَ الشفَتَينِ، لا تتهوَّري

طَبعُ الزوابع فيه بعضُ طباعي.

جنون

إنَّ الجنونَ وراءَ نصفِ قصائدي

أوَليس في بعض الجنون صوابُ؟

العبيرُ الواشي

سيفضحُنا يا حبيبي العبيرُ

فقد عَرَفَ الطيبُ ميعادَنا

الملوك الأسرى

ما نُسمِّي ذلك الحُبَّ الذي يدخُلُ كالسكّينِ فينا؟

أَنُسَمّيهِ صُداعًا...

أَم نُسمّيهِ جُنونا

كيف نغدو – عندما نعشقُ – أسرى

بعدَ ما كُنّا ملوكًا فاتحينا؟

حساب

أَأُحاسبُ امرأةً على نسيانِها

ومتى استَقَامَ مع النساء حسابُ؟

مع جريدة

أَخرَجَ من معطفِهِ الجريدَهْ

وعُلبَةَ الثقابِ

ودونَ أن يُلاحظ اضطرابي،

ودونما اهتمامِ،

تناولَ السُكَّرَ من أمامي

ذوَّبَ في الفنجانِ قِطعَتَينْ

ذوَّبَني... ذوَّبَ قطعَتَينْ

وبعد لحظَتَينْ،

ودونَ أن يراني

ويعرفَ الشوقَ الذي اعتراني

تناول المعطفَ من أمامي،

وغابَ في الزحامِ

مُخلِّفًا وراءَه الجريدَهْ

وحيدةً، مثلي أنا وحيدَهْ.

التائه الأبديّ

ماذا؟ أَيُتعِبُكَ المدى؟ أبدًا
لا شيءَ في عينَيكِ يُتعِبُني

أرجو الضياعَ، وأستريحُ لهُ
يا ويلَ دربٍ لا يُضَيِّعُني...

المُفاضَلة الصعبة

شِعري ووجهُكِ قطعتا ذَهَبٍ

وحمامتانِ، وزَهرَتا دِفْلى

ما زلتُ محتارًا أمامكُما

مَن مِنكُما؟

مَن مِنكُما أحلى؟

الحُسنُ لا يتوب

أوريانتيا

شاحبةٌ جَمَّلتِ الشُحوبْ

دافئةٌ

كالبُنّ في مزارع الجنوبْ

تائبةٌ! من قالَ؟

جلَّ الحُسنُ أن يتوبْ...

يوم العصافير

وبدون أن أدري، تركتُ له يدي

لتنامَ كالعُصفور بين يَدَيهِ.

حوارٌ خاصّ جدًّا

مَطَرٌ... مَطَرٌ... وصديقتُها
معها، ولتشرينَ نُواحُ

والبابُ تئنُّ مفاصلُهُ
ويُعربِدُ فيه المفتاحُ...

وحوارُ نهودٍ أربعةٍ
تتهامَسُ... والهَمسُ مُباحُ

ويُكَسِّرُ نهدٌ واقعَهُ
ويثورُ... فللجرحِ جراحُ

ويموتُ الموتُ، ويستلقي
ممّا عاناهُ المصباحُ...

كُلي شموسًا، وامضَغي أَنجُمًا

جسمُكِ في تفتيحِهِ الأروَعِ

فانغَرِسي في الشمعِ يا إصبَعي

في غابةٍ أريجُها مُوجَعٌ

ولوزُها أكثرُ من مُوجَعِ

كُلي شُموسًا، وامضَغي أنجُمًا

لا تقنعي، مَن أنتِ إن تَقنَعي

ولَقِّطي الغروبَ عن حَلمةٍ

كسلى، بغير الورد لم تُزرَعِ

جادَت... وجادَت... حين شجَّعتُها

وحين حطَّت... لم أجِد أضلعي...

اصطيافٌ في عينين

لا تسأليني: هل أُحبُّهُما؟

عينَيكِ، إنّي منهُما لَهُما.

نَهرانِ من تَبغٍ ومن عَسَلٍ

ما فكَّرَت شمسٌ بمثلِهِما

كوخانِ عند البحر، هل سَنَةٌ

إلّا قضيتُ الصيفَ تحتَهُما

أحشو جيوبي كلَّها صَدَفًا

وأُذيبُ حزني في مياهِهِما

وأنا من أُمَّةٍ تحترم الخيل

كان نهداكِ حصانينِ جميلَينِ،

وكانا يشربانِ الماءَ من قعرِ المرايا

وأنا من أُمَّةٍ تحترمُ الخيلَ،

وما للخيل من طبعٍ كريمٍ، وسجايا.

مَزمَزة

أُتركيني... حتّى أُفكِّرَ فيكِ
وابعُدي خطوَتَينِ كي أَشتهيكِ

أنتِ مثلُ النبيذِ... يُحسى برفقٍ
فلماذا بلحظةٍ أُنهيكِ؟

التفكيرُ بالأصابع

ماذا يهمُّكِ مَن أنا؟...

ما دمتُ أحرث كالحصان على السرير الواسعِ

ما دمتُ أزرعُ تحت جلدكِ ألفَ طفلٍ رائعِ

ما شأنُ أفكاري؟ دعيها جانبًا

إنّي أُفكِّرُ عادةً بأصابعي...

الشِعر... يُبقيكِ صبية

لا تقلقي. يا حُلوةَ الحُلواتِ

ما دُمتِ في شعري، وفي كَلِماتي

قد تكبُرينَ مع السنين... وإنّما

لن تكبُري أبدًا على صَفَحاتي

طيران الحَجَل

أَخَذَ الكبريتَ، وأشعَلَ لي
ومضى كالصيف المُرتَحِلِ

مَن هذا الفارسُ؟ طار له
في صدري زَوجٌ من حَجَلِ...

حديثُ اليدين

قليلًا من الصمتِ، يا جاهلَهْ

فأجملُ من كلِّ هذا الحديثِ

حديثُ يَدَيكِ... على الطاولَهْ.

امرأَةٌ لا عنوانَ لها

ستفتّشُ عنها يا وَلَدي في كلِّ مكانْ

وستسأَلُ عنها موجَ البحر، وفيروزَ الشطآنْ

وتجوبُ بحارًا وبحارا

وتفيضُ دموعُكَ أنهارا

وسيكبُرُ حزنُكَ حتّى يصبحَ أشجارا

وستعرفُ بعد رحيلِ العمر،

بأنَّكَ كنتَ تطاردُ خيطَ دخانْ.

فحبيبةُ قلبكَ ليس أرضٌ، أو وَطَنٌ، أو عنوانْ

عليكِ... وعليّا

حاذِري أن تَقَعي بين يَدَيَّا
إن سُمِّيَ كلّهُ في شفتيَّا

حاذري أن ترفعي السوطَ، أَلَمْ
تركبي قبلُ حصانًا عَرَبيَّا

نَخزَةٌ منكِ على خاصرتي
تجعلُ الحقدَ بصدري بربريًّا

أنا شَمشونُ، إذا أوجعتِني
قلتُ: يا ربّي عليها وعليًّا...

الشجرة

كُوني... كوني امرأةً خَطِرَهْ
كي أتأَكَّدَ – حين أضمُّكِ –
أنَّكِ لستِ بقايا شَجَرهْ
غَنّي. إبكي. عيشي. مُوتي
كي لا يُروى يومًا عنّي
أنّي كنتُ أُضاجعُ شَجَرهْ

السمكة

كم تُشبِهينَ السَمَكَهْ

سريعةٌ في الحُبِّ مثل السَمَكَهْ

جبانةٌ في الحُبِّ مثل السَمَكَهْ

قتلتِ ألفَ امرأَةٍ في داخلي

وصرتِ أنتِ المِلِكَهْ...

تصفيةُ حساب

وأُديرُ مفتاحَ الحريمِ... فلا أرى
في الظلِّ، غيرَ جماجم الأمواتِ

اليومَ تنتقمُ النهودُ لنفسها
وتَرُدُّ لي الطَعَناتِ بالطَعَناتِ.

الجسد المثقَّف

تَعَرّيْ... فمنذُ زمانٍ طويلٍ
على الأرض لم تَسقُطِ المعجِزاتْ

تعرَّيْ... تعرَّيْ... أنا أخرسٌ
وجسمُكِ يعرفُ كلَّ اللغّاتْ.

هزيمةُ نـهد

ما للمرايا على جدرانِها اختَجَلَتْ
لمّا دخلتُ؟ وما للطّيبِ قد جَمُدا

تركتُ صدرَكِ في تفتيحهِ وَلَدًا
وحينَ عدتُ إليهِ، لم يعُد وَلَدا

وناهداكِ... أَجيبي، مَن أَذَلَّهُما
وحينَ كنتُ أنا... للّـه ما سَجَدا

كانا أميرَينِ... كانا لُعبَتَي خَزَفٍ
تقومُ دنيا إذا قاما وإن قَعَدا...

لا يعرفُ الكتابة

يجوزُ أن تكوني شفّافَةً كَأَدمُع الربابَهْ

رقيقةً كنجمةٍ، طازجةً كغابَهْ

لكنّني أشعرُ بالكآبَهْ

فالجِنسُ – في تصوُّري – حكايةُ انسجامِ

كالنحتِ، كالتصويرِ، كالكتابَهْ

وجِسمُكِ المليسُ كالقِشطَة والرخامِ

لا يعرفُ الكتابَهْ...

لا عقابَ للأطفال

حَطِّم أواني الزهر، والمَرايا

هدِّد بحُبِّ امرأَةٍ سِوايا

فكلُّ ما تفعلُهُ سواءُ

وكلُّ ما تقولُهُ سواءُ

فأنتَ كالأطفالِ يا حبيبي

نُحِبُّهُمْ، مهما لنا أساؤوا...

القيامة

كان نهداكِ في العصور الخوالي

يَنشُدانِ السلامَ مثلَ الحمامَهْ

كيف ما بين ليلة وضُحاها

صار نهداكِ مثلَ يوم القيامَهْ؟

... وشَعري تَرَعرَعَ بين يَدَيك

تعوَّد شَعري الطويلُ عليكْ

تعوَّدتُ أُرخيهِ كلَّ مساءٍ

سنابلَ قمح على راحَتَيكْ

تعوَّدتُ أتركهُ يا حبيبي

كنَجمَةِ صيفٍ على كتِفَيكْ

فكيف تملُّ صَداقَةَ شِعري؟

وشَعري تَرَعرَعَ بين يَدَيكْ؟

المُستَحمَّة

أنا عنكِ ما أخبرتُهُم... لكنَّهُمْ

لمحوكِ تغتسلينَ في أحداقي...

لأَنَّي أُحبُّكَ أصبحتُ أجمَل

لأنَّي أُحبُّكَ... أصبحتُ أجمَلْ

وبعثرتُ شَعري على كَتِفَيَّ

طويلًا... طويلًا... كما تتخيَّلْ

فكيف تَمَلُّ سنابلَ شَعري

وتتركُهُ للخريف وتَرحَلْ؟

وكنتَ تُريحُ الجبينَ عليهِ

وتغزلُهُ باليَدَينِ فيُغزَلْ

وكيف سأُخبرُ مِشطي الحَزينْ؟

إذا جاءني عن حنانكَ يسأَلْ

أَجِبني، ولو مرَّةً يا حبيبي

إذا رحتَ... ماذا بشَعري سأَفعلْ؟

... إلّا معي

نامي مع النساء، لا فَرقَ،

مع الريحِ، مع الزوابعِ.

فَلَن تكوني امرأَةً...

إلّا معي.

إلّا معي.

يكفي

ويكفي حضورُكِ كي لا يكونَ المكانْ

ويكفي مجيئُكِ كي لا يجيءَ الزمانْ.

كأَنّي لم...

هكذا، بينَ ليلة وضُحاها

نتلاقى شقيقةً وشقيقا؟

فكأَنّي لم أملأ الصدرَ لَوزًا

وعلى الثغر ما سكبتُ العقيقا.

من غير تصميم

إشربي القهوةَ يا سيِّدَتي

فالجميلاتُ قضاءٌ وقَدَرْ

والعيونُ الخُضرُ والسُودُ

قضاءٌ وقَدَرْ...

توحيد

لَن تفهميني أبدًا...

لَن تفهمي أحزانَ شَهرَيارِ

فحينَ ألفُ امرأَةٍ

يَنَمنَ في جواري

أُحِسُّ أنَّ لا أحد ينامُ في جِواري.

تدخُّل غيرُ مطلوب

سيجيءُ القمحُ في موعِدِهِ

ويجيءُ الوردُ في موعدِهِ

وستنسابُ الينابيعُ وتَخضَرُّ الحقولْ

فاترُكي الأشجارَ تنمو وحدَها

واترُكي الأنهارَ تنمو وحدَها

فمن الصعب على الإنسان تغييرُ الفُصولْ.

إسبانيا

إسبانيا

قُبَّعَةٌ تُرمى أمام شُرفَة الحبيبَهْ

ووردةٌ رطيبَهْ

تطيرُ من مقصورة النساءْ

الحبُّ صعب

رُبَّما كنتِ جميلَهْ

مثلَ لون البحر، أو لونِ الطفولَهْ

غيرَ أنَّ الحُبَّ، مثلَ الشعر عندي،

لا يُلبّيني بيُسرٍ وسُهولَهْ.

محاولات

على أُذُنَي هذه الغانيَهْ
تَأَرجَحَ قُرطٌ رفيعْ
كما يضحكُ الضوءُ في الآنيَهْ
يَمُدُّ يدَيهِ، ولا يستطيعْ
وصولًا إلى الكَتِفِ العاريَهْ.

أسماكٌ غيرُ منتظَرة

أنا لم أعشقكِ حتّى الآنَ... لكنْ

سوف تأتي ساعةُ الحُبِّ التي لا رَيبَ فيها

وسيرمي البَحرُ أسماكًا على نَهدَيكِ لم تنتظريها.

كُلُّكِ... أو لا

أَحِبّيني... ولا تَخشَي على قَدَمَيكِ

– سيِّدَتي – من الماءِ

فلَن تتعمَّدي امرأَةً

وجِسمُكِ خارجَ الماءِ

وشَعرُكِ خارجَ الماءِ...

الله كريم

آهِ... ما أروعَ أن ينسحقَ الإنسانُ

في حُبٍّ عظيمْ

فامنحيني فرصةً أُخرى... فقد

يكتُبُ الله عليَّ الحبَّ...

والله كريمْ.

أَرجوكِ يا سيِّدَتي

أرجوكِ يا سيِّدَتي أَن تُرجِعي
عَلاقَتي الأُولى مع الأشياءْ
أَن تُرجِعي الأشجارَ مُستَقيمَةً
والأرضَ مستديرةً
والقمحَ، والنجومَ، والسنابلَ الصفراءْ
أَرجوكِ يا سيِّدَتي
أَن تُرجِعي إلى البحار الماءْ.

أنسيكلوبيديا

ليس لي القدرة على تعليمِكِ الحُبّْ

فنَهداكِ دائرتا معارفْ

وشفتاكِ هما خلاصةُ النبيذْ.

إرحَل لتبقى

وكي أكونَ دائمًا جميلةً

وكي تكونَ أكثرَ اقترابا

أسأَلُكَ الذهابا.

أين؟ متى؟

إشربي القهوَةَ، يا مائيةَ الصوتِ،

وخضراءَ العُيونْ.

فعلى خارطةِ الأشواقِ

لا أعرفُ في أيّ مكانٍ سأَكونْ

ومتى يَذبَحُني سيفُ الجُنونْ؟

الصائغ

إثنَي عشر شَهرًا

وأنا أعمل كصائغٍ من آسيا

في تركيب قصيدةٍ تليقُ بمَجد عَينَيكِ

أشُكُّ اللؤلؤةَ باللؤلؤَهْ

والدَمعةَ بالدمعَهْ

وأصنعُ منها حَبلًا طويلًا... طويلًا من الكلماتْ

أضعُهُ حول عُنُقِكِ...

وأنا أبكي...

قيامةُ الحبّ

حينَ أنا سقطتُ في الحُبِّ

تغيَّرَتْ...

تغيَّرَتْ مملكةُ الرَبِّ

صار الدُّجى ينامُ في معطفي

وتُشرِقُ الشمسُ من الغَربِ.

حتّى لا يطير

رسمتُ حول خصركِ زيحًا بالقلمِ الأَخضَرْ

حتّى لا يخطر بباله أن يصبح فراشةً

ويطيرْ...

لو كنتِ...

لو كنتِ يا صديقتي

بمستوى جُنوني

رَمَيتِ ما عليكِ من جواهرٍ

وبِعتِ ما لدَيكِ من أساورٍ

ونِمتِ في عُيوني.

لا خوفَ على المَدَنيّه

أُريدُكِ أُنثى

لتبقى الحياةَ على أرضنا مُمكنَهْ

وتبقى الكواكبُ والأزمِنَهْ

فما دُمتِ أُنثى فنحنُ بخيرٍ

وما دمتِ أُنثى

فليس هنالك خوفٌ على المَدَنيَّهْ.

إختصارٌ قاتل

أشكوكِ للسماءْ

أشكوكِ للسماءْ

كيفَ استطَعتِ، كيفَ، أن تَختَصِري

جميعَ ما في الأرضِ من نساءْ.

أساور

كلُّ الأساور صغيرةٌ على يدَيكِ

إلّا أساورَ حَناني...

هكذا أُحبّ...

أكرهُ أن أُحِبَّ مثلَ الناسْ

أكرهُ أن أكتبَ مثلَ الناسْ

أودُّ لو كان فمي كنيسةً

وأحرُفي أجراسْ.

عدالة اللون الأسود

إنَّ ولائي لكِ لم يتغيَّرْ

كنتِ سلطانتي في العام الذي مضى

وستبقينَ سلطانتي في العام الذي سيأتي

ولا أُفكِّرُ في إقصائكِ عن السُلطَهْ

فأنا مقتنعٌ بعدالة اللون الأسود

في عينَيكِ الواسعتَينْ

وبطريقتكِ البَدَويةِ في ممارسةِ الحُبّ.

الزمان الثاني

حين أكونُ عاشقًا

تنفجرُ المياهُ من أصابعي

وينبتُ العُشبُ على لساني.

حين أكونُ عاشقًا

أغدو زمانًا خارجَ الزمانِ

امتدادات

أُريدُ أن تأخذي شكلَ فمي
حتّى إذا تَكَلَّمتُ
وَجَدَكِ الناس تستحمّينَ في صَوتي.
أُريدَكِ أن تأخذي شَكلَ يدي
حتّى إذا وضعتُها على الطاولَهْ
وَجَدَكِ الناس نائمةً في جَوفِها...

يحدث... يحدث

يحدث أحيانًا أن أبكي

مثلَ الأطفال بلا سببِ

يحدثُ أن أَسأَمَ من عينَيكِ الطيِّبَتَينِ

بلا سببِ.

يحدثُ أن أتعبَ من كَلِماتي،

من أوراقي،

من كُتُبي.

يحدثُ أن أتعبَ من تَعَبي.

مأزق لغويّ

لأنَّ حُبّي لكِ فوق مستوى الكلامْ

قرّرتُ أن أسكُتَ. والسلامْ.

الدليلة

إنتقي أنتِ المكانْ

أيَّ مَقهى، داخلٍ كالسيف في البحرِ،

اْنتَقي أيَّ مكانْ

إنّني مُستَسلِمٌ للبَجَعِ البحريِّ في عَينَيكِ

يأتي من نهاياتِ الزمانْ.

ميلادي أنتَ

ما زلتَ تسألُني عن عيد ميلادي

سَجِّل لدَيكَ إذَن... ما أنتَ تجهلُهُ

تاريخُ حُبِّكَ لي، تاريخُ ميلادي.

منطق الشاعر

خطيئتي

أنّي أرى العالمَ يا صديقتي

بمنطق الصغارْ

ودَهشَة الصغارْ

وأنّني أقدرُ في بساطةٍ

أن أرسُمَ النساءَ في كرّاستي

بهيئة الأشجارْ.

وأجعلَ النهدَ الذي أختارُهُ

طيّارةً من وَرَقٍ،

أو زَهرَةً من نارْ.

بلا كلمات

لأنَّ كلامَ القواميس ماتْ

أُريدُ اكتشافَ طريقة عِشقٍ

أُحِبُّكِ فيها، بلا كَلِماتْ

موجودٌ في كلِّ القبلات

... فاقرأي أقدمَ أوراق الهوى

تجديني دائمًا بين السطورْ

إنّني أسكُنُ في الحُبِّ، فما من قُبلةٍ

أُخِذَت... أو أُعطِيَتْ

ليس لي فيها حُلولٌ أو حُضورْ.

الشاعر... والرجُل

أَحبَبتِني شاعرًا طارَت قصائدُهُ

فحاولي مرّةً أن تَفهَمي الرجُلا.

مستحيل

قد تكونينَ كلَّ شيءٍ، ولكنْ

لن تكوني ربًّا بغير شريكِ

لا يُعادُ مرَّتَين

حُبُّكِ، يا عميقةَ العَينَينْ

تطرُّفٌ.

تصوُّف.

عِبادَهْ.

حُبُّكِ مثل الموت والولادَهْ.

صعبٌ بأن يُعادَ مرَّتَينْ...

كانَ يا ما كان

١

كانَ في صدركِ ديكان جميلانِ

يصيحانِ كثيرًا، ويناماِن قليلا

وأنا كنتُ بلا نَومٍ

وكانَ الشَرشَفُ المشغولُ بالإبرَةِ

مزروعًا عصافيرَ،

ووردًا،

ونخيلا.



كانَ نهداكِ خَروفَينِ صغيرَينِ،

وكانا يأكلانِ العُشبَ من صدري،

وكانَ الصوفُ من كَشميرَ منثورًا على وجهي،

وقمصاني، وفي كُلِّ الزوايا.

كنتُ كالبِلَّور مكسورًا على الأرضِ،

وكانت قهوتي تشربُني،

والبُرنُسُ المُبتَلُّ بالماءِ يُناديني،

ويُهديني ملايينَ الهدايا.

٣

كانَ نَهداكِ مليكَينِ عظيمَينِ
وكانا يحكمانِ البرَّ والبحرَ،
وكان العدلُ موفورًا،
وكان الخبزُ موفورًا،
وكان الشعبُ يدعو للمليكَينِ بطول العُمرِ،
في كلِّ الميادينِ، وفي كلِّ التكايا.
وأنا من حُسن حظّي أنّني عاصرتُ نهديكِ
وقدَّمتُ ولائي لهما
مثلَ ملايين الرعايا.

٤

كانَ يا ما كانَ،
في صدركِ أسماكٌ، وخَيلٌ، وديوكٌ،
وملوكٌ، وزغاليلُ حَمامٍ،
وزغاريدُ صَبايا.
وأنا كنتُ على سُجّادة الكاشانِ مرميًّا
ومن حولي نُثاراتُ شموسٍ،
وفتافيتُ مرايا.

التَيه

بين نَهدَيكِ قُرىً محروقةٌ

وملايينُ، ملايينُ الحُفَرْ

وبقايا سُفُنٍ غارقةٍ،

ودروعٌ لرجالٍ قُتِلوا

لم يَجئ عن واحدٍ منهُم خَبَرْ

كلُّ مَن مَرَّ بنَهدَيكِ اختفى

والذي ظلَّ إلى الصبح انتَحَرْ.

كتابُ النـهد

إنَّني أحفظُ جُغرافيةَ النهدَينِ، يا سيِّدَتي

عن ظَهر قَلبْ.

وأنا أعرفُ كالتلميذ أخبارَ الحضاراتِ التي قد نَشَأَت بينَهُما

عن ظهر قلبْ.

مقارنة

تسألُني حبيبتي:

ما الفَرقُ ما بيني وما بين السَما؟

الفَرقُ ما بينكُما

أنَّكِ إن ضحكتِ يا حبيبتي

أَنسى السَما...

إنّه كرويٌّ... إنّها تدور

هل سأبقى

ذاهلًا في حضرة النهدِ ذُهولَ البَدَويِّ؟

إنّني آمنتُ يا سيِّدتي

أنَّ شكلَ الأرض شَكلٌ كُرَويْ.

على طريق النبوّة

تغيَّرتِ الأشياءُ منذ عشقتِني

وأصبحتُ كالأطفال بالشمس ألعَبُ.

ولستُ نبيًّا مُرسَلًا غير أنّني

أصيرُ نبيًّا عندما عنكِ أكتُبُ.

إقليمُ العاشق

هذه الرائحةُ العاليةُ الصوتِ،

أنا اعتَدتُ عليها

مثلما اعتادَت عليَّ

فإذا رأسُكِ إقليمٌ صغيرٌ فوق صَدري

وإذا أنتِ امتدادٌ ليَدَيَّ.

نَقشٌ كوفيّ

محفورةٌ أنتِ على وجه يدي

كأحرفٍ كوفيةٍ على جدار مسجِدِ.

قضاءٌ وقَدَر

كلُّ شيءٍ مُمكِنٌ ما بين تشرينَ وتشرينَ،
وما يحدثُ في داخل نهدَيكِ طبيعيٌّ
كهذا السُكَّرِ الدافقِ من قلب الثمَرْ
فاترُكي أمركِ للّـه، ونامي
إنَّ نهدَيكِ يجيئان إلى الدنيا قضاءً وقَدَرْ
ويموتانِ قضاءً وقَدَرْ.

بُكاء اللؤلؤ

إنّي أُحبُّكِ عندما تبكينا

وأُحبُّ وجهَكِ غائمًا وحزينا

بعضُ النساءِ وجوهُهنَّ جميلةٌ

ويصِرنَ أجملَ عندما يَبكينا...

الكونشرتو

كلُّ شيءٍ ممكنٌ، في ذلكَ الليل الذي يثقُبُهُ صوتُ المَطَرْ.
فالبسي قُفطانَكِ الكُرديَّ، لا أدري لماذا أذكر الموصلَ أيّامَ الربيعْ،
وحقولَ القَصَبِ المائيِّ في الأهوارِ، لا أدري لماذا؟
تحضُرُ الآنَ إلى بالي بساتينُ الرصافَهْ،
و(الشناشيلُ) التي تملأُ شَطَّ الأعظميَّهْ.
والكتاباتُ التي يكتُبُها الله بوردٍ وذَهَبْ
عند لَحظاتِ الغُروبْ
فوقَ شعر النخل في شَطِّ العَرَبْ.

▪

يا صباحَ الفُلِّ، هل أنتِ بخيرٍ؟
إنَّ كونشرتو البيانو
أشعَلَ النارَ لنا... ثمَّ ذَهَبْ.

البرتقالة

يقشِّرُني الحبُّ كالبُرتُقالةِ،

يفتح في الليل صدري، ويتركُ فيهِ:

نبيذًا، وقَمحًا، وقنديلَ زيتْ.

ولا أتذكَّرُ أنّي انذَبَحتُ

ولا أتذكَّرُ أنّي نَزَفتُ

ولا أتذكَّرُ أنّي رأيتْ.

يمشي على الماء ولا يغرق

أروعُ ما في حُبّنا أنّهُ

ليس له عقلٌ ولا منطقُ

أجمل ما في حُبّنا أنّهُ

يمشي على الماء ولا يَغرقُ.

قَيلولة

حديثُكِ سُجّادَةٌ فارسِيهْ.

وعيناكِ عُصفورتانِ دمَشقِيتانِ

تطيرانِ بين الجدارِ وبين الجدارْ

وقلبي يسافرُ مثلَ الحَمامة فوق مياهِ يَدَيكِ،

ويأخُذُ قَيلولةً تحت ظلِّ السوارْ.

المرأةُ الثانية

هِيَ... في غرفة انتظاركَ، فاذهَبْ
بين أحضانِها ستعرفُ فَضلي

يا صديقي. شُكرًا. أنا أتمنّى
لو وجدتَ التي تُحِبُّكَ مثلي...

وقتٌ لكلِّ شيء

وما بين وقت النبيذِ، ووقتِ الكتابةِ،

يوجدُ وقتٌ

يكونُ به البحرُ ممتلئًا بالسنابلْ.

وما بين نُقطَةِ حِبرٍ،

ونُقطَةِ حبرٍ،

هنالك وقتٌ ننام معًا، فيه بين الفواصِلْ.

أنتِ امرأَةٌ لا تُكتَب

أكثرُ ما يضايقني في الكتابةِ

أنَّها لا تكتُبُكِ.

أنتِ امرأَةٌ صعبَةٌ

أنتِ امرأَةٌ لا تـُكتَبْ...

الموتُ الجميل

وأخيرًا... جئتِ يا موتي الجميلْ

فاقتُليني نائمًا أو صاحيًا

أُقتُليني ضاحكًا أو باكيًا

أُقتُليني كاسيًا أو عاريًا

فلقد يجعلني القَتلُ وليًّا مثلَ كلِّ الأولياءْ.

ولقد يجعلني سنبلةً خضراءَ، أو جدولَ ماءْ.

وحمامًا،

وهديلْ.

استقالة

أَعيديني إلى أَصلي جميلًا...

فمهما كنتِ، أجملُ منكِ نَفسي...

الرهان الكبير

سأَبدأُ من شَفَتَيكِ نزولًا...

إذا كنتِ تخشينَ من غربة الليل والزمهريرْ

سأَبدَأُ من قَدَميكِ صعودًا...

إذا كان لا بُدَّ لي أن أموتَ

لأربحَ هذا الرِهانَ الكبيرْ.

شبيهةُ ابنتي

ما أنا فاعِلٌ بخمسَة عَشرٍ
شَهِدَ الله أنّهُ تعذيبُ

شَفَتاكِ الصغيرتانِ أمامي
وضميري عليهما مصلوبُ

لكِ عُمرُ ابنتي، ولينُ صباها
وتقاطيعُها. فأين الهروبُ؟

الحبُّ المشاكس

وحاولتُ إقناعَ شَعرِكِ أن لا يَطولَ كثيرًا على كَتِفَيكِ

وأن لا يكونَ جدارًا من الحزن فوق حياتي

ولكنَّ شَعرَكِ خَيَّبَ كلَّ الظنونِ،

وظلَّ طويلا...

وأوصيتُ جِسمَكِ أن لا يُثيرَ خيالَ المرايا

ولكنَّ جِسمَكِ خالفَ كلَّ الوصايا

وظلَّ جميلا...

وحاولتُ إقناعَ حُبِّكِ أنَّ إجازةَ عامٍ

على البحر، أو في أعالي الجبالِ تُفيدُ كِلَينا

ولكنَّ حُبَّكِ ألقى الحقائبَ فوق الرصيفِ،

وأخبرني أنّهُ لا يريدُ الرحيلا.

الحصانُ المُتعَب

وحاولتُ إقناعَ نَهدَيكِ

باللينِ حينًا، وبالعُنفِ حينًا

بأنّي خسرتُ الرهانْ

وأنّ الحصانَ الذي كان يحرثُ أرضَ الكواكبِ،

ملَّ الوثوبَ، وملَّ الصهيلا.

ولكنّ صَدرَكِ ظلَّ يقاتلُ شِبرًا فشِبرًا،

وبرًّا، وبحرًا

إلى أن رماني قَتيلا.

أتوفيقُ... ماذا أقولُ لهنَّ؟

١

أشيلُكَ، يا وَلَدي، فوق ظَهري

كمئذنةٍ كُسِرَت قطعتَينْ.

وشَعرُكَ حقلٌ من القمح تحت المَطَرْ

ورأسُكَ في راحتي وردةٌ

دمشقيةٌ، وبقايا قمرْ.



سأُخبِركُم عن أَميري الجميلْ

سأُخبِركُم عن أميري الجميلْ

عنِ الكانَ مثل المرايا نقاءً

ومثلَ السنابل طولًا

ومثلَ النخيلْ.

وكان صديقَ الخِراف الصغيرةِ،

كان صديقَ العصافيرِ،

كانَ صديقَ الهديلْ.

٣

سأُخبِرُكُم عن بَنَفسَج عَينَيهِ

هل تعرفونَ زُجاجَ الكنائسِ؟

هل تعرفونَ دُموعَ الثُّريّاتِ حين تسيلْ؟

وهل تعرفونَ نوافيرَ روما؟

وحزنَ المراكبِ قبل الرحيلْ.

٤

سأُخبِركُم عنهُ،

كانَ كيوسُفَ حُسنًا،

وكنتُ أخافُ عليه من الذئبِ،

كنتُ أخافُ على شَعرِهِ الذهَبيِّ الطويلْ.

... وأمسِ أتَوا يحملونَ قميصَ حبيبي

وقد صَبَغَتهُ دماءُ الأصيلْ

فما حيلتي يا قصيدةَ عُمري

إذا كنتَ أنتَ جميلًا

وحظّي قليلْ؟...

٥

أتوفيقُ،

لو كان للموتِ طفلٌ، لأدركَ ما هو موتُ البَنينْ.

ولو كان للموت عقلٌ،

سألناه كيف يُفسِّرُ موتَ البلابل والياسمينْ؟

ولو كان للموت قلبٌ، تردَّدَ في ذبح أولادنا الطيِّبينْ

أتوفيقُ، يا ملكيَّ الملامح، يا قَمَريَّ الجبينْ

صديقاتُ بيروتَ منتظراتٌ

رُجوعَك، يا سيِّدَ العِشقِ والعاشقينْ

فكيف سأكسرُ أحلامهنَّ

وأغرقُهُنَّ ببحر الذُّهولْ؟

وماذا أقولُ لهنَّ، حبيباتِ عُمرِكَ،

ماذا أقولْ؟؟

٦

أتوفيق، إنَّ جسورَ الزمالكِ ترقُبُ كلَّ صباحٍ خُطاكْ.

وإنَّ الحَمامَ الدمشقيَّ يحملُ تحت جناحيهِ دفءَ هواكْ.

فيا قُرَّةَ العين، كيفَ وجدتَ الحياةَ هناكْ؟

فهل ستفكِّرُ فينا قليلا؟

وترجعُ في آخر الصيف حتّى نراكْ؟

أتوفيقُ، إنّي جبانٌ أمامَ رثائِكَ،

فارحَم أباكْ...

إكتشاف

لم أكُن أعرفُ يا سيِّدتي

أنَّ أشيائي الصغيرَهْ

هي أشيائي الكبيرَهْ

ما يشاءُ الحبُّ، لا ما نشاء

هل ثيابي اشتعلَتْ؟

هل حُروفي اشتعلَتْ؟

هل دموعي اشتعلَتْ؟

هل أنا ضوءٌ سماويٌّ، وإنسانٌ جديدْ؟

لا تُسمِّي ذلكَ الإعجابَ يا سيِّدتي حُبًّا،

فإنَّ الحُبَّ لا يأتي إذا نحنُ أردناهُ،

ويأتي... كغزالٍ شاردٍ حين يُريدْ.

آثارُها هي الأجمل

... والمرأةُ هي الأُخرى جميلةٌ،

ولكنَّ الأجملَ منها

هو آثارُ أقدامِها على أوراقِنا...

نخلتان تحت الماء

عندما تُمطِرُ في بيروتَ، تنمو

لكآباتي غصونٌ، ولأحزاني يدانْ

فادخُلي في كنزة الصوف، ونامي

نحنُ تحت الماء يا نَخلَةَ روحي نَخلَتانْ.

ثورة العصافير

كنتُ أعرف...

أنَّ العصافيرَ وحدها

ستُعلِنُ الثورةَ معي.

لا أنتِ، بل طفولتي

لن أكونَ معكِ هذه الليلة،

ولن أكونَ في أيّ مكانْ.

فقد اشتريتُ مراكبَ ذاتَ أشرعةٍ بنفسجية...

وقطاراتٍ لا تتوقَّف إلّا في محطّة عينَيكِ...

وطائراتٍ من الورق تطيرُ بقوّة الحبّ وحدَهُ...

واشتريتُ ورقًا... وأقلامًا ملوَّنةً،

وقرَّرتُ أن أسهر مع... طفولتي.

فنـاء

... فأنا كامرأةٍ يُرضيني

أن أُلْقيَ نفسي في مَقْعَدْ

ساعاتٍ في هذا المعبَدْ

أتأَمَّلُ في الوجه المُجهَدْ

وأعُدُّ... أَعُدُّ... عروقَ اليَدْ

فعروقُ يديكَ تُسَلّيني

وخيوطُ الشيب هنا... وهنا...

تُنهي أعصابي، تُنْهيني...

دَخِّن. لا أروعَ من رجُلٍ

يَفنى في الركنِ. ويُفنيني.

أنا الشرائعُ كلُّها

إنّي عشِقتُكِ... واتَّخَذتُ قراري
فلِمَن أُقدِّمُ، يا تُرى، أعذاري

ماذا أخافُ؟ أنا الشرائعُ كلُّها
وأنا المحيطُ، وأنتِ من أنهاري

وأنا أرتِّبُ دولتي، وخرائطي
وأنا الذي أختارُ لونَ بحاري

وأنا أُقرِّرُ مَن سيدخُلُ جنَّتي
وأنا أُقرِّرُ مَن سيدخُلُ ناري

الحاكمُ بأمر الحُبّ

لا سلطةً في الحبِّ، تعلو سُلطَتي
فالرأيُ رأيي، والخيارُ خِياري

أنا في الهوى متحكِّمٌ، مُتَسلِّطٌ
في كلِّ عِشقٍ نكهَةُ استِعمارِ

إن كان عندي ما أقولُ، فإنَّني
سأقولُهُ للواحِدِ القهّارِ...

الشرعيَّة

عيناكِ وحدَهُما هما شرعيَّتي
ومراكبي، وصديقتا أسفاري

إن كان لي وَطَنٌ فوجهُكِ موطني
أو كانَ لي دارٌ، فحبُّكِ داري.

ما هو المطلوب؟

ما هو المطلوبُ أن أفعلَ كي أُعلنَ للعشق وَلائي؟

ما هو المطلوبُ أن أفعلَ كي أُدفَنَ بين الشهَداءِ

أدخَلوني في سبيل العشق مستشفى المجاذيبِ،

وحتّى الآنَ، يا سيِّدتي، ما أطلَقوني

شنَقوني في سبيلِ الشعرِ، مرّاتٍ... ومرّاتٍ...

ويبدو أنّهم ما قَتَلوني...

حاولوا أن يقلعوا الثورةَ من قلبي وأوراقي...

ويبدو أنَّهُم

في داخل الثورة يا سيِّدتي قد زَرَعوني...

مع قِطَّة...

ما هو المطلوبُ منّي؟

ما هو المطلوبُ حتّى قطَّتي تصفَحَ عنّي؟

إنَّني أطعمتُها قمحًا، ولوزًا، وزبيبا

وأنا قدَّمتُ للنهدَينِ تفّاحًا، وخمرًا، وحليبا

ما الذي تطلبه القطّةُ ذاتُ الوَبَرِ الناعِمِ منّي؟

وأنا أجلستُها سلطانةً في مقعدي

وأنا رافقتُها للبحر يومَ الأَحدِ

وأنا حمَّمتُها كلَّ مساءٍ بيدي

فلماذا؟

بعد كلِّ الحُبِّ والتكريمِ،

قد عضَّت يدي؟

تحت أَمرِك

أنا منذ السنةِ الألفينِ قبل الثغرِ، فكَّرتُ بثغرِكْ.

أنا منذ السنة الألفين قبل الخيلِ،

أجري كحصانٍ حول خصرِك.

يا التي يأخُذُني قُفطانُها المشغولُ بالزهر إلى أرض العجائبْ

يا التي تنتشرُ الشاماتُ في أطرافها مثل الكواكبْ

فلماذا أنتِ، يا سيِّدتي، ضدَّ المواهبْ

أنتِ تدرينَ تمامًا...

أنَّ خِبراتي جميعًا تحت أمرِكْ

ومَهاراتي جميعًا تحت أمرِكْ

وأصابيعي التي عمَّرتُ أكوانًا بها

هي أيضًا... هي أيضًا

هيَ أيضًا تحت أمرِكْ...

لندن

١

شهرُ ديسمبرَ في لندنَ رائعْ
فبِهِ هاجَمَني الحبُّ وألقاني جريحًا كمصابحِ الشوارعْ
هذه فاطمةٌ تلبسُ بنطالًا من الجلد نبيذيًّا
وتوصيني بأن أُمْسِكَها من يدها كي لا أَضيعْ...
فهي تدري أنَّني من دونها، لا أقطع الشارعَ وحدي...
لا ولا أدخلُ في المعطف وَحدي...
لا ولا أشربُ فنجانًا من القهوة وحدي...
لا ولا أعرفُ أن أرجعَ للفندق وحدي...
وهي تدري أنَّني أعبُدُها من رأسها حتّى الأصابعْ
شهرُ ديسمبر رائعْ.

٢

لندنٌ حُبّي...
وفي بارْكاتِها غنَّيتُ أحلى أُغنياتي
لندنٌ مجدي
ففيها قد تَغَرغَرتُ بأُولى كلِماتي

لندنُ حُزني
على كلّ رصيفٍ دمعةٌ من دَمَعاتي
لندنُ تعرفُ وجهي جيّدًا
فأنا جزءٌ من اللون الرماديِّ،
ومن أعمدَة النورِ، وصوتِ القُبَّراتِ
لندنُ صاحبةُ الفَضل، فقد
علَّمتني العِشقَ، في كلِّ اللغّاتِ.

٣

لندنُ تُمطرني ثلجًا، وأَبقى باشتهائي بَدَويًّا
لندنُ، تمنحني كلَّ الثقافاتِ، وأَبقى بجنوني عربيًّا
لندنُ تُمطِرني عقلًا... وأبقى فوضويًّا...
لندنُ تجهلُ حتّى الآنَ، مَن أنتِ لديّا
آهِ... يا سَنجابةَ الليل التي
تدخُلُ في الأعماقِ رمحًا وثنيّا
إنَّ تاريخَكِ قبلي... كان تاريخًا غبيّا...
إنَّ عصري قبل أن يُرسِلَك الله إليّا
كان عصرًا حَجَريّا...
فاشربي شيئًا من الحُلم معي
إشربي شيئًا من الفوضى معي...
إشربي حتّى تصيري امرأةً
واترُكي الباقي عليّا...

٤

آهِ... يا فاطمةُ

يا التي عشتُ وإيّاها ملايينَ الحماقات الصغيرَهْ

إنَّني أعرفُ معنى، أن يكونَ المرءُ في حالةِ عشقٍ

خلفَ أسوار الزمان العَرَبيّْ

وأنا أعرف معنى أن يبوحَ المرءُ، أو يهمِسَ، أو ينطقَ،

في هذا الزمان العربيّْ

وأنا أعرفُ معنى أن تكوني امرأَتي

رغمَ إرهاب الزمانِ العربيّْ

فأنا تطلبني الشُرطة للتحقيق في ألوان عينيكِ

وفيما تحت قمصاني، وفيما تحت وجداني

وأسفاري، وأفكاري، وأشعاري الأخيرَهْ.

وأنا لو أمسكوني أسرقُ الكُحلَ الذي

يُمطِرُ من عينَيكِ، صادَتْني بواريدُ العشيرَهْ...

اللاجئ

إفتَحي شَعرَكِ... يا فاطمةٌ

إفتحي شَعرَكِ عن آخِرِهِ

إنَّني مُضطَهَدٌ مثلَ نبيٍّ

ووحيدٌ كجزيرَهْ.

إفتَحي شَعرَكِ عن آخِرِهِ

وانزعي منهُ الدبابيسَ،

فهذي فرصَةُ العُمر الأخيرَهْ...

قصيدةٌ بالحبر الصينيّ

إنَّ حِبرَ الصين في عينَيكِ يا فاطمةٌ، فوق احتمالي

يا التي تمرق من بين شراييني كعطر البرتُقالِ

يا التي تشطرني نصفين في الليل،

وعند الفجر ترميني على ركبَتِها نصفَ هلالِ.

يا التي تحتلُّني شرقًا وغربًا، ويمينًا وشمالًا

إستمرّي في احتلالي...

أنا أُحِبُّ... إذن فأنا مُتَحضِّر

يغسلني حبُّكِ من بداوتي

يشيلُ عنّي الرملَ والحجارَهْ

يُدخِلُني لقصره المائيِّ كلَّ ليلةٍ

يُدخِلُني في زُرقَةِ العبارَهْ

وعندما أسأَله: مَن أنتِ يا حبيبتي

يرفعُ لي عن وجهكِ السِتارَهْ

ثمَّ يقولُ: ها هيَ الحضارَهْ...

عباءَة الحُبّ

ما دام حُبُّكِ، يُعطيني عباءَتَهُ

فكيف لا أفتحُ الدنيا... وأنتصِرُ؟

الوَطَنُ الأخير

أيَّتُها الوردةُ، والياقوتةُ، والريحانةُ

والسلطانةُ، والشعبيةُ، والشرعيةُ بين جميع المَلِكاتِ...

يا سَمَكًا يسبَحُ في ماء حياتي

يا قَمَرًا يطلع كلَّ مساءٍ من نافذة الكَلِماتِ

يا أعظمَ فَتحٍ بين جميع فُتوحاتي

يا آخرَ وَطَنٍ أُولَدُ فيه...

وأُدفَنُ فيه...

وأنشُرُ فيه كتاباتي.

وسامة

قولي أُحبُّكَ... كي تزيد وسامتي

فبغير حُبّكِ، لا أكونُ جميلا...

من غير يدَين

لم أكُن منتظرًا

حين قبَّلتُكِ أن أنسى لديكِ الشفَتَين

لم أكُن منتظرًا

حين عانقتُكِ أن أرجعَ من غير يَدَين...

الخارج على القانون

القراراتُ التي يُصدِرُها السلطانُ لا تُشغِلُ بالي...

وملفّاتي لدى الشرطَةِ لا تُشغِلُ بالي

وحدَهُ حبُّكِ، يا سيِّدتي، يُشغل بالي.

كأنّي... لَم...

لا أدري ماذا يحدثُ لي؟
فكأَنَّكِ أُنثايَ الأولى
وكأَنّي قبلَكِ ما أَحبَبتُ
وكأَنّي ما مارستُ الحُبَّ
ولا قَبَّلتُ... ولا قُبِّلتْ...

المحظوظ

كم كان كبيرًا حظّي... حين عثرتُ عليكِ

كم صار جميلًا شِعري...

حين تثقّفَ بين يديكِ...

فاطمة في ساحة الكونكورد

يُمطِرُ عليَّ كُحلُكِ الحجازيُّ

وأنا في وَسَط ساحة (الكونكورد)

فأَرتَبِك... وترتبكُ معي باريسْ

تسقُطُ حكومةٌ، وتأتي حُكومَهْ

وتطيرُ الجرائدُ الفرنسيةُ من أكشاكِها

وتطيرُ الشراشفُ من فوق طاولات المقاهي

وتطلبُ العصافيرُ اللجوءَ السياسيَّ

إلى عينيكِ العَرَبيتَينْ.

أعظم فنادق العالم

كلَّما سافرتُ إلى باريسَ دون حَجزٍ

تصيرينَ فُندُقي...

فتافيت ياقوت

أيَّتُها العربيةُ التي تتكسَّرُ على أرصفة باريس

فتافيتَ ياقوتٍ، وغابةَ سيوف...

يا مَن يتصالح في عينَيها الضوءُ والعُتمَهْ

ما كان في حسابي.

وأنا أتمشّى بين (الفاندوم) و(المادلين)

أن أدخلَ في جدلِيّة اللون الأسودْ

وإشكالِيّة العيون الواسعة كخواتم الفضّهْ.

رئيس الجمهوريّة الخامسة

يا فاطمةَ ساحة الكونكورد

يا فاطمةَ الفاطماتْ...

أَيُّها الخَصرُ الذي يقول القصائدَ والأُغنياتْ

ما كان في حسابي،

أن أدخلَ إلى باريس بجواز سفرٍ عربيٌّ

وأخرجَ منها، رئيسًا للجمهوريّة الخامسهْ!!

شفاهٌ من شجر التوت

علَّمتُ أطفالَ العالَمْ...

كيف يُهَجّونَ اسمَكِ...

فتحوَّلَت شفاهُهُم إلى أشجار توتْ...

أوصَيتُ الريحَ فاعتذرَت

أوصَيتُ الريحَ

أن تُمشِّطَ خُصُلاتِ شَعرك

فاعتَذَرَت بأنَّ وَقتَها قصيرٌ

وشَعرَكِ طويلْ...

إشاعة

يُروِّجون كلامًا لا أُصدِّقُهُ

هل بين نَهدَيكِ، حقًّا، يسكُنُ القَمَرُ؟

المعماريّ

ليس لكِ زمانٌ حقيقيٌّ خارجَ لَهفَتي،

أنا زمانُكْ

ليسَ لكِ أَبعادٌ واضِحهْ

خارجَ امتداد ذِراعي.

أنا أبعادُكِ كُلُّها

زواياكِ... ودوائرُكِ،

خطوطُكِ المنحنِيةُ...

وخطوطُكِ المُستقيمهْ...

الدفتر

شَعْرُكِ.. هو دفترُ مُذكّراتِنا.

لماذا أنتِ هكذا؟

كُوني امرأةً عاديةً

تتكحَّلُ، وتتعطَّرُ، وتَحبلُ، وتلِدْ

كُوني امرأةً مثل كلِّ النساءْ

حتّى أتصالحَ مع لغتي.

أنا مررتُ من هنا

كلُّ رَجُلٍ سيُقبّلُكِ بَعدي

سيكتشفُ فوق فمكْ

عريشةً صغيرةً من العِنَبْ

زَرَعتُها أنا...

نتخاصم، وتتصالح يدانا

صداقةُ يَدَينا

أقوى من صداقتي معكِ...

وأصفى، وأعمقْ.

فحينَ كُنّا نختصِمُ، ونغضَبْ

كانتْ يدانا تلتصِقانِ، وتتعانقانْ...

وتتغامزان على غبائِنا...

الجنين

أريدُ أن أستبقيكِ في جَسَدي

طفلًا مستحيلَ الولادَهْ

وطَعْنَةً سرّيةً لا يشعر بها أحدٌ غيري.

أتفرّجُ يومًا، فأحترقُ عامًا

عيناكِ حفلةُ ألعابٍ ناريةٍ

أتفرَّجُ عليها مرّةً كلَّ سَنهْ،

وأظلُّ طَوالَ العامْ

أطفئُ الحرائقَ المشتعلَةَ في جِلْدي

وفي ثيابي...

سيِّدُ الدراويش

بيني وبينكِ حالةٌ من الشعْر لم أكتُبها بعدْ
وحالةٌ من النُبوءَةِ لم أُبَشِّر بها الناس بعدْ
وحالةٌ من الانخطافْ
تجعلُني سَيِّدَ الدراويشْ.

مطالبُ عطر

كلَّما سافرتِ...

طالَبَني عطرُكِ بكِ،

كما يُطالبُ الطفل بعودة أُمِّهْ.

أريدُ أن أعيش

إمنحيني الفرصةَ

لأبحثَ عن عناوين النساء اللواتي

تركتُهُنَّ من أجلكْ

وقَتَلتُهُنَّ من أجلكْ

فأنا أريدُ أن أعيشْ.

مفكّرةُ الله

أتذكَّرُ حُبَّكِ الشتائيَّ

وأتوسَّلُ إلى الأمطار أن تُمطِرَ في بلادٍ أُخرى

وأتوسَّلُ إلى الثلج أن يتساقطَ في مُدُنٍ أُخرى

وأتوسَّلُ إلى الله أن يُلغي الشتاء من مُفَكِّرَتِهِ،

لأنَّني لا أعرفُ كيف سأقابلُ الشتاءَ بَعدَكِ...

المُهَرِّب الأبَديّ

أحمقٌ أنا...

حينَ ظننتُ أنّي مُسافِرٌ وحدي

ففي كُلِّ مطارٍ نَزَلتُ فيهِ،

عَثروا عليكِ في حقيبة يَدي.

مُهمَّتُكِ

مُهِمَّتُكِ يا حبيبتي

أن تظلّي حبيبتي.

حين أُحِبّ

حين يُحِبُّ رجلٌ مثلي

إمرأةً مثلَكِ،

تتشقَّقُ قِشرةُ الكونْ

وتُصبح الأرضُ علبةَ كبريتٍ

في يد طِفلٍ...

ذاكرةُ الماء

حتّى النوافيرُ في (الكونكورد) تَذكُرُنا

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الماء يَفتَكِرُ...

خُذي بحركِ... يا سيِّدتي

كلُّ قصيدةٍ أَكتُبُها تغرقُ في الماءْ

كلُّ جَبَلٍ أصعدُ إليهِ يُحاصِرُهُ الماءْ

فاحملي بَحرَكِ يا سيِّدتي، وانصَرِفي

واتركي الشمسَ تُشرِقُ ثانيةً على جَسَدي.

سيف

أُدخُلي بَحْري

كسَيفٍ من النحاسِ المصقولْ

المرأةُ اللغة

الحرفُ يبدأُ من عينَيكِ رِحلَتَهُ
كلُّ اللُّغاتِ بلا عَينَيكِ تندثِرُ

أحملُ الشوارعَ، وأبحثُ عنك

إنَّني أَحترِفُ العِشقَ، وأحترِفُكِ

يتجوَّلُ هو فوق جِلدي

وتتجوَّلينَ أنتِ تحت جِلدي

أمّا أنا...

فأحملُ الشوارعَ والأرصفةَ المغسولةَ بالمَطَرِ

على ظهري، وأبحثُ عنكِ.

تأشيرة

وتكفي ابتسامةُ عينَيكِ كي يبدأَ المهرجانْ

فوجهُكِ تأشيرتي لدخول بلاد الحنانْ.

الشجرة، ونافورةُ الماء

ماذا فعلتِ بنفسِكْ؟

أيَّتُها السيِّدةُ التي وَقَعَ منها صوتُها على الأرضْ

فأصبَحَ شَجَرَةً،

ووقَعَ ظِلُّها على جَسَدي

فأصبحَ نافورةَ ماءْ.

من عِلْم ربّي

آهِ... لو أعرفُ ما يحدثُ في داخل قلبي

إنَّ أمرَ الحُبّ يا سيِّدتي من عِلْم ربّي

إمرأةٌ بالأبيض والأسود

لماذا كَسَرتِ زجاجةَ الحبر الأخضَرِ

التي كنتُ أرسُمُكِ بها،

وصرتِ امرأةً

بالأبيضِ والأسودْ؟

كلَّما... أنتِ

كلّما دخلتُ إلى بيت امرأةٍ

خَرَجْتِ إليَّ من وراء الستائرْ

كلَّما مارستُ الحبَّ مع امرأةٍ أُخْرى

حَبِلْتِ أنتِ!!

إخلعي غبارَكِ والبسي مَطَري

لماذا لا تخلعينَ جِلدَكِ

وتلبسينَ جِلدَ البحرْ؟

لماذا لا تخلعينَ طَقسَكِ المُعتَدِلْ،

وتلبسينَ جُنوني؟

لماذا لا تخلعينَ ثوبَ الغُبارْ

وتلبسينَ أمطاري؟

تـوالُـد

أريدُ أن أَلِدَكِ،

وأن تَلِدِيني.

توحيد

سأقولُ لكِ «أُحِبُّكِ»

عندما تسقُطُ الحدودُ نهائيًّا

بينكِ وبين القصيدهْ

ويُصبح النومُ على ورقة الكتابةِ

شَهِيًّا، ومُدَمِّرًا كالنومِ معكِ.

إمرأةٌ في غبار النصوص

أيَّتُها السيِّدةُ المُضطجِعةُ على رُفوف الكُتُبْ
أيَّتُها الضائعةُ في غبار النصوصْ.

لا تتغيَّري

خَلِّيكِ بِدائيةً كما أنتِ...

خَلِّيكِ مِزاجِيةً كما أنتِ...

خَلِّيكِ هُجوميةً كما أنتِ...

ماذا يبقى من إفريقيا

إذا أخذنا منها نُمورَها، وبهاراتِها؟

ماذا يبقى من جزيرة العَرَبْ

إذا أخذنا منها

نارَ النُبُوَّةِ...

ومَجدَ الصهيلْ؟

سأنتظر

خُذي الوقتَ الذي تستغرقُهُ اللؤْلُؤةُ لتَتَشكَّلْ،

والسُنونوَّةُ لتصنَعَ بجناحَيها صَيفًا...

خُذي الوقتَ الذي تستغرقه الدمعةُ

لتصبحَ كتابَ شِعرْ.

لا أحد

لا أحَدَ يستطيعُ رَشوَةَ البَرق والرَعدْ،

ولا أحَدَ يستطيعُ إكراهَ قصيدةٍ

على النوم مع شاعرٍ لا تريدُهْ.

يحيا حين ينتحر

سأركبُ البحرَ مجنونًا... ومُنتَحِرًا

والعاشقُ الفَذُّ، يحيا حين ينتحِرُ.

غيرةُ الضجر

لم يَعُدْ عندي ما أفعلُهُ...

سوى أن ألعبَ الورقَ مع ضَجَري...

هو يخسرُ، وأنا أخسَرْ.

هو يضجرُ، وأنا أضجَرْ.

هو يُخبرني أنَّكِ كُنتِ حبيبَتَهُ،

وأنا أخبرهُ أنَّكِ كنتِ حبيبتي،

هو يعطيني مسدَّسَهُ لأنتحرْ

وأنا أُطلِعُهُ على مكاتيبك القديمهْ،

فيقتُلُ نفسَهُ،

ويقتُلُني.

عُمّال الحُبّ

سأبقى مُصَمِّمًا على قتلكِ،

لا من أجلي وحدي...

ولكنْ من أجل كلّ القتلى والجرحى، ومُشَوَّهي الحُبِّ،

ومن أجل كلِّ الذين حكمتِ عليهم بالأشغال الشاقّة المؤبَّدةِ،

وفرضتِ عليهم أن ينقلوا الرمل بملاعق الشايْ

من نهدِكِ الأيمَن إلى نَهدِكِ الأيسَرْ.

من نَهدِكِ الأيسَر إلى نَهدِكِ الأيمنْ.

ولا يزالون يشتغلونْ

ولا يزالون يشتغلونْ

و... لا... ي... ز... ا... ل... و... ن...

ي... ش... ت... غ... ل... و... ن...

أشهدُ أن لا...

١

أَشهدُ أن لا امرأةً

قد جَعَلَت طفولتي

تمتدُّ للخمسينَ إلّا أنتِ.

٢

أَشهدُ أن لا امرأةً

توقَّفَ الزمانُ عند نَهدها الأيمَنِ

إلّا أنتِ.

وقامت الثوراتُ من سفوح نَهدها الأيسَرِ

إلّا أنتِ...

القانونُ امرأةٌ

فسامحيني مرّةً واحدةً

إذا أنا خرجتُ عن حرفيّة القانونْ

فما الذي أصنعُ يا ريحانتي

إنْ كانَ كلُّ امرأةٍ أحبَبتُها

صارَت هي القانونْ؟

أسئلةٌ تحت شَعرِها

يا امرَأةً...

أتركُ تحت شَعرِها أسئلتي

ولم تُجِب يومًا على سُؤالْ

يا امرأةً...

هي اللّغاتُ كلُّها

لكنَّها تُلمَسُ بالذهنِ، ولا تُقالْ.

ضَيِّقٌ عليكِ الزمَن

أُحِبُّكِ في كلِّ يومٍ ثلاثينَ عامًا

وأشعُرُ أنّي أُسابقُ عُمري

وأشعُرُ أنَّ الزمانَ قليلٌ عليكِ،

وأنَّ الدقائقَ تجري

وأنّي وراءَ الدقائق أَجري...

وأشعُرُ أنّي أؤسِّسُ شيئًا

وأزرعُ في رَحِمِ الأرض شيئًا

وأشعُرُ – حينَ أُحِبُّكِ –

أنّي أُغَيِّرُ عَصري...

تعالي البارحة

إن كان لا يُمكنُكِ الحضورُ يا حبيبتي

لأيِّ عُذْرٍ طارئٍ

سأكتفي بالرائحهْ.

إن كان لا يمكنُ أن تأتي غدًا

لموعدي،

إذَن تعالي البارِحهْ.

قَد..

لا تَقنَطي أبدًا من رحمة المَطَرِ...

فقد أُحِبُّكِ في الخمسينَ من عُمري...

شيزوفرانيا

١

ما هو هذا الوَطَنْ؟
الذي يخافُ أن يرى جَسَدَهُ في المِرآةِ
حتّى لا يشتهيه.
ويخافُ أن يسمَعَ صوتَ امرأةٍ في التلفون
حتّى لا يُنقضَ وُضوءُه...
ما هو هذا الوَطَنْ؟
الذي يعرفُ كلَّ شيءٍ عن ثورة أكتوبر،
وثورة الزَنج، وثورة القرامِطهْ...
ويتصرَّفُ مع النساء...
كأنَّهُ شيخُ طريقة...

٢

ما هو هذا الوَطَنْ؟
الذي يتعاملُ مع الحُبِّ كشرطيِّ سَير.
فيعتبر الوردةَ مؤامرةً على النظامْ
ويعتبر القصيدةَ منشورًا سِرّيًّا
ما هو هذا الوَطَنْ؟
الذي ألغى مادَّةَ الحُبِّ من مناهجه المدرسية
وألغى فَنَّ الشعرِ... وعُيونَ النساءْ.

٣

ما هو هذا الوَطَنْ؟
الذي يتكلَّمُ في النهار كقِدّيسٍ
ويدوخُ في الليل على سُرَّةِ امرأةْ!!

إمرأةٌ بملايين الأسماء

إختاري أنتِ أسماءَكِ

كما تختارُ النُقطةُ مكانَها على السَطرْ

وكما يختارُ المِشطُ مكانَهُ في طيّاتِ الشعرْ

وإلى أن تختاري إسمكِ الجديدْ

إسمحي لي أن أناديكِ:

«يا حبيبتي».

التهمةُ الكبرى

كلَّ عامٍ وأنا مُتَورِّطٌ بكِ

ومُلاحَقٌ بتُهمَةِ حُبِّكِ

كما السماء متَّهمةٌ بالزُرقهْ

والعصافيرُ متَّهمةٌ بالسَفَر

والشفَةُ مُتَّهمةٌ بالاستِدارهْ...

عصور الانحِطاط

يومَ طردوني من القبيلةِ

لأنّي تركتُ قصيدةً على باب خيمتِكْ

بدأَت عصورُ الانحِطاطْ

إنَّ عصورَ الانحطاط ليست الجهلَ

بمبادئ النحوِ والصرفِ،

ولكنَّها الجَهلُ بمبادئ الأُنوثهْ.

ثمن الشعر

شَنَقوني في سبيل الشعرِ، مرّاتٍ... وَمرّاتٍ

ويبدو أنَّهُم ما قَتَلوني...

حاوَلوا أن يُقلِعوا الثورةَ من قلبي... وأوراقي

ويبدو أنَّهم في داخل الثورة – يا سيِّدتي –

قد زَرَعوني...

ما تقولُ مايا، وما يقولُ النبيذ

١

مايا تقولُ بأنَّها لم تَبلُغِ العشرينَ بَعدُ،

وأنَّها ما قاربَت أحدًا سوايا

وأنا أُصدِّقُ كلَّ ما قال النبيذُ،

وكُلَّ ما قالَتهُ مايا.



مايا على «الموكيت» حافيةٌ

وتطلبُ أن أساعِدَها على رَبطِ الضَفيرهْ

وأنا أُواجهُ ظَهرَها العاري

كطفلٍ ضائعٍ ما بين آلافِ الهدايا.

الشمسُ تُشرِقُ دائمًا من ظَهرِ مايا.



مايا تقولُ بأنَّني الذكَرُ الوحيدُ،

وأنَّها الأُنثى الوحيدَه

وأنا أُصدِّقُ كلَّ ما قال النبيذُ

وكلَّ ما قالَتهُ مايا.

٤

مايا وراء سِتارةِ الحمّام واقفةٌ كسُنبُلةٍ،
وتروي لي النوادرَ والحَكايا.
وأنا أرى الأشياءَ ثابتةً، ومائلةً،
وحاضرةً، وغائبةً،
وواضحةً، وغامضةً،
فتخذلني يدايا.

٥

مايا مُبلَّلَةٌ...
وطازَجَةٌ كتُفّاح الجبالِ
وعند تقاطُع الخُلجان قد سالَتْ دمايا.
مايا تُكرِّرُ أنَّها ما لامَسَت أحدًا سوايا
وأنا أُصَدِّقُ كُلَّ ما قال النبيذُ،
ونِصفَ ما قالَتهُ مايا.

٦

مايا تُغَنّي من مكانٍ ما...
ولا أدري على التحديد أينَ مكانُ مايا؟

كانَت وراءَ سِتارة الحمّامِ ساطِعةً كلؤلؤةٍ

وحوَّلها النبيذُ إلى شظايا...

لَقَطاتٌ من كتاب الأنوثة

أُريدُكِ أُنثى...

لأنَّ الحضارةَ أُنثى.

لأنَّ القصيدةَ أُنثى.

وسُنبُلَةَ القمحِ أُنثى.

وقارورةَ العطرِ أُنثى.

وباريسَ – بين المدائنِ أُنثى.

وبيروت تبقى – برغم الجراحات أُنثى.

فباسمِ الذين يريدون أن يكتبوا الشعرَ كوني امرأهْ...

وباسمِ الذين يريدونَ أن يعرفوا الله،

كوني امرأهْ....

ألا يمكنني؟

ألا يمكنُني أن أُحِبَّكِ خارجَ المَخطوطاتِ العربيّهْ؟

وخارجَ الفَرَمانات العربيّهْ.

وخارجَ الأوزان العربيّهْ.

وخارجَ أنظمة المرور العربيّهْ.

ألا يمكن أن أجلسَ معكِ في الكافيتيريا؟

دونَ أن يجلس معنا امرؤ القَيسْ.

ألا يمكنني أن أدعوك للرقصْ؟

دون أن يرقُصَ معنا البحتريُّ.

ثُمَّ... ألا يمكنني أن أُوصِلَكِ إلى منزلك في آخر الليل؟

إلّا بحراسة رَجُلِ المخابرات عَنتَرَةَ العَبسيِّ!!

أُمّـي

بموت أُمّي

يسقُطُ آخرُ قميص صوفٍ

أُغطّي به جَسَدي.

آخِرُ قميص حنانٍ،

آخِرُ مظلّةِ مَطَرْ.

وفي الشتاء القادم،

ستجدونني أتجوَّلُ في الشوارع عاريًا.

وحدها

كلُّ النساء اللواتي عرفتُهُنَّ
أحبَبنَني وهُنَّ صاحياتٌ.
وحدَها أُمّي، أحبَّتني وهيَ سَكْرى.

قصيدةُ بلقيس

١

بلقيسُ كانَت أجملَ المَلِكاتِ في تاريخ بابِلْ

بلقيسُ كانَت أطوَلَ النخلاتِ في أرض العِراقْ

قَتَلوكِ يا بلقيسُ، أَيَّةُ أُمَّةٍ عربيةٍ

تلكَ التي تغتالُ أصواتَ البلابلْ؟

٢

هل تعرفونَ حبيبتي بلقيسَ؟

فهيَ أهمُّ ما كتبوهُ في كُتُبِ الغرامْ

كانَت مزيجًا رائعًا، بين القطيفة والرخامْ

كان البنفسجُ بين عَينَيها ينامُ... ولا ينامْ...

بلقيسُ، يا عطرًا بذاكرتي، ويا قبرًا يُسافِرُ في الغمامْ

قَتَلوكِ في بيروتَ، مثل أيِّ غزالةٍ

من بعدما قتلوا الكلامْ...

بلقيسُ، ليسَت هذه مرثيّةً

لكنْ على العرب السلامْ...

٣

بلقيسُ يا بلقيسُ، يا بلقيسُ

كلُّ غمامةٍ تبكي عليكِ، فَمَن تُرى يبكي عليّا

بلقيسُ.. كيفَ رحلتِ صامتةً ولم تَضعي يَدَيكِ على يديّا

بلقيسُ، كيفَ تركتِنا في الريحِ، نرجفُ مثل أوراق الشجَرْ

وتركتِنا – نحنُ الثلاثةَ – ضائعينَ كريشةٍ تحت المَطَرْ

أتراكِ، ما فكَّرتِ بي؟

وأنا الذي يحتاجُ حبَّكِ، مثل (زينب) أو (عُمَرْ)

٤

بلقيسُ، أيَّتُها الصديقةُ، والرفيقةُ، والرقيقةُ

مثل زهرةِ أُقْحُوانْ

يا مَن تحدَّيتِ الغيومَ ترفُّعًا

من أين جِئتِ بكلّ هذا العُنفُوانْ؟

بلقيسُ، ما أنتِ التي تتكرَّرينَ،

فما لبلقيسَ اثنَتانْ...

٥

بلقيسُ،

تذبحني التفاصيلُ الصغيرةُ في علاقَتِنا

وتَجلدني الدقائقُ والثواني

فلِكُلِّ دبّوسٍ صغيرٍ قصّةٌ

ولكُلِّ عقدٍ من عُقودِكِ قصَّتانِ

حتّى ملاقطُ شَعرِكِ الذَهبيّ تَغمرني كعادتِها بأمطارِ الحنانِ

ومن المرايا تطلعينَ، من الخواتمِ تطلعينَ،

من الشُموعِ، من الكؤوسِ، من النبيذِ الأُرجوانيّ..

بلقيسُ، يا بلقيسُ، لو تدرينَ ما وَجَعُ المكانِ

فهناكَ كنتِ تُدَخِّنينَ،

هناكَ كنتِ تطالعينَ،

هناكَ كنتِ كنَخلَةٍ تتمشَّطينَ،

وتدخلين على الضيوف، كأنَّكِ السيفُ اليَماني.

٦

بلقيسُ،

إنَّ قضاءنا العربيَّ، أن يغتالَنا عَرَبٌ،

ويأكلَ لحمنا عَرَبٌ

ويَبقُرَ بطنَنا عَرَبٌ

ويفتحَ قبرَنا عَرَبٌ

فكيفَ نفرُّ من هذا القضاءْ؟

فالخنجرُ العربيُّ ليس يُقيم فَرقًا

بين أعناق الرجالِ، وبين أعناقِ النساءْ

بلقيسُ،

إن هُم فجَّروكِ، فعندنا

كلُّ الجنائز تبتدي في كَربلاءَ...

وتنتهي في كَربلاءْ...

٧

بلقيسُ،

يا قمري الذي طَمَروهُ ما بين الحِجارهْ

الآنَ ترتفعُ الستارهْ

الآن ترتفعُ الستارهْ

سأقولُ في التحقيق إنّي أعرفُ الأسماءَ، والأشياءَ

والسُجناءَ، والشهداءَ، والفقراءَ، والمُستضعَفينْ.
وأقولُ إنّي أعرفُ السيّافَ قاتلَ زوجتي
ووجوهَ كلِّ المُخبرينْ.
وأقولُ إنَّ زمانَنا العربيَّ مُختصٌّ بذَبح الياسمينْ
وبقتلِ كُلِّ الأنبياءِ، وقتلِ كلِّ المُرسَلينْ.

٨

من يوم أن نحروكِ، يا بلقيسُ، يا أحلى وَطَنْ
لا يعرفُ الإنسانُ كيف يعيشُ في هذا الوَطَنْ
لا يعرفُ الإنسانُ كيف يموتُ في هذا الوَطَنْ

٩

بلقيسُ أيَّتُها الشهيدةُ، والقصيدةُ، والمطهّرةُ النقيّهْ
بلقيسُ يا عصفورتي الأَحلى، ويا أيقونتي الأَغلى،
ويا دمعًا تناثرَ فوق خدِّ المجدليّهْ.
ها نحنُ ندخُلُ مرّةً أخرى لعصر الجاهليّهْ
حيثُ الكتابةُ رحلةٌ بين الشظِيّةِ والشظِيّهْ
حيثُ اغتيالُ فَراشةٍ في حقلها
صار القضيّهْ.

١٠

لمّا تناثَرَ جِسمُكِ الضوئيُّ لؤلؤةً كريمهْ

فكَّرتُ: هل قَتلُ النساءِ هوايَةٌ عربيةٌ

أم أنَّنا في الأصل مُحترفُو جريمهْ.

١١

بلقيسُ، يا فَرَسي الجميلةَ، إنَّني

من كُلِّ تاريخي خَجولْ

هذي بلادٌ يقتُلونَ بها الخُيولْ

هذي بلادٌ يقتُلون بها الخُيولْ

١٢

حتّى العيونُ الخُضرُ يأكُلُها العَرَبْ..

حتّى الضفائرُ، والخواتمُ، والأساورُ، والمرايا، واللُّعَبْ

حتّى النجومُ تخافُ من وَطَني، ولا أدري السبَبْ.

حتّى الطيورُ، تفرُّ من وَطَني، ولا أدري السبَبْ.

حتّى الكواكبُ، والمراكبُ، والسحُبْ

حتّى الدفاترُ والكُتُبْ

وجميعُ أشياءِ الجمالِ،

جميعُها ضدَّ العَرَبْ..

١٣

سأقولُ في التحقيقِ،

كيف غزالتي ماتَت بسيف أبي لَهَبْ

كلُّ اللصوص من الخليج إلى المحيطِ،

يدمِّرونَ، ويُحرِقونَ، وينهبونَ، ويرتشونَ،

ويعتدونَ على النساء، كما يريدُ أبو لَهَبْ

كلُّ الكلاب موظّفونَ، ويأكلونَ، ويسكرونَ،

على حساب أبي لَهَبْ...

١٤

سأقولُ في التحقيقِ، كيفَ أميرتي اغتُصِبَتْ

وكيف تقاسموا فيروزَ عينَيها، وخاتمَ عُرسِها

وأقولُ كيف تَخاطَفوا الشعرَ الذي يجري كأنهار الذهَبْ

سأقولُ كيف استنزفوا دمَها، وكيف استملكوا فَمَها

فما تَركوا به وردًا، ولا تركوا عِنَبْ

هَل موتُ بلقيسٍ هو النصرُ الوحيدُ بكلِّ تاريخ العَرَبْ؟

١٥

لا قمحةٌ في الأرض تنبتُ دون رأي أبي لَهَبْ

لا طفلَ يولدُ عندنا

إلّا وزارَت أُمُّهُ يومًا فِراشَ أبي لَهَبْ...

لا سِجنَ يُفتَحُ دون رأي أبي لَهَبْ...

لا رأسَ يُقطعُ دون أَمر أبي لَهَبْ...

١٦

بلقيسُ، يا معشوقتي حتّى الثمالَهْ

الأنبياءُ الكاذبونَ يُقرفصونَ، ويركبونَ على الشعوب،

ولا رسالهْ.

لو أنَّهُم حملوا إلينا من فلسطينَ الحزينةِ نَجمةً، أو بُرتُقالهْ

لو أنَّهُم حملوا إلينا من شواطئ غزَّةٍ

حَجَرًا صغيرًا، أو مَحارهْ

لو أنَّهُم من رُبع قرنٍ حَرَّروا زيتونةً...

أو أرجَعوا ليمونةً...

ومَحَوا عن التاريخ عارهْ.

لشكرتُ مَنْ قتلوكِ، يا بلقيسُ، يا معبودتي حتّى الثمالهْ

لكنَّهُم تركوا فلسطينًا...

ليغتالوا غزالهْ...

يا سِتَّ الدنيا، يا بيروت

١

يا سِتَّ الدنيا، يا بيروتْ
من باعَ أساورَكِ المشغولةَ بالياقوتْ؟
من ذَبح الفَرَحَ النائمَ في عينَيكِ الخَضراوينْ؟
من صادرَ خاتمَكِ السحريَّ، وقصَّ ضفائركِ الذهبيّهْ؟
ها نحنُ أتينا معتذرينَ، ومعترفينْ
أنّا أطلقنا النارَ عليكِ بروحٍ قَبَليّهْ
فقتلنا امرأةً كانَت تُدعى الحرّيّهْ.

٢

يا حقلَ اللؤلؤِ، يا ميناءَ العشقِ،

ويا طاووسَ الماءْ...

قُومي من أجلِ الحبِّ، ومن أجلِ الشعَراءْ.

قُومي من أجلِ الخبزِ، ومن أجلِ الفُقَراءْ.

الحبُّ يريدُكِ، يا أحلى المَلِكاتْ

والشعبُ يريدُكِ، يا أحلى المَلِكاتْ

والربُّ يريدُكِ، يا أحلى المَلِكاتْ

ها أنتِ، دَفَعتِ ضريبةَ حُسنكِ مثلَ جميع الحسناواتْ

ودَفعتِ الجزيَة عن كُلِّ الكَلِماتْ.

٣

نعترفُ الآنَ، بأنّا كُنّا يا بيروتُ،

نُحِبُّكِ كالبدو الرُّحَّلْ.

نعترفُ الآنَ بأنَّكِ كنتِ خليلتَنا

نأوي لفراشكِ طولَ الليل،

وعند الفجر، نهاجِرُ كالبدو الرُّحَّلْ.

٤

نعترفُ أمام الله الواحِدِ أنّا كنّا منكِ نغارُ،

وكان جمالُكِ يُؤذينا...

نعترفُ الآن بأنّا لم نُنصِفكِ، ولم نَفهَمكِ،

وأهدَيناكِ مكانَ الوردة سِكّينا

نعترف أمام الله،

بأنّا راودناكِ... وعاشرناكِ... وضاجعناكِ...

وحمَّلناكِ معاصينا...

٥

قُومي، يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البحرْ

الآنَ عرفنا ما معنى أن نقتلَ عصفورًا في الفجرْ

الآنَ عرفنا ما معنى أن ندلُقَ فوق سماء الصيف زجاجة حِبرْ

الآنَ عرفنا أنّا كُنّا ضدَّ الله...

وضدَّ الشعرْ.

٦

ما زلتُ أُحِبُّك يا بيروتُ المجنونهْ...

يا نَهرَ دماءٍ وجواهِرْ

ما زلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ القلب الطيِّبِ، يا بيروتُ الفوضى،

يا بيروتُ الجوعِ الكافرِ، والشَبَعِ الكافِرْ

ما زلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ العدل، ويا بيروتُ الظلم،

ويا بيروتُ القاتل والشاعِرْ...

يا سِتَّ الدنيا، إنَّ الدنيا بعدَكِ ليست تكفينا

الآنَ عرفنا إنَّ جذورَكِ ضاربةٌ فينا...

الآنَ عرفنا... ماذا اقترفَت أيدينا...

بيروت محظيتكم... بيروت حبيبتي

١

سامحينا. إن تركناكِ تموتين وحيدهْ.

وتسلَّلنا إلى خارج الغرفة نبكي كجنودٍ هاربينْ

سامحينا... إن رأينا دَمَكِ الورديَّ ينسابُ كأنهار العقيقْ

وتفرَّجنا على فِعل الزِنى...

وبقينا ساكتينْ.



آهِ يا بيروتُ، يا صاحبةَ القلب الذهَبْ

سامحينا، إن جعلناكِ وقودًا... وحَطَبْ

للخلافاتِ التي تَنهَشُ من لحم العَرَبْ

منذُ أن كانَ العَرَبْ....



طَلَبوا منّا بأن ندخلَ في مَدرَسَة القتلِ، ولكنّا رفَضْنا.

ووقفنا ضِدَّ كلّ القاتلينْ

وبقينا مع لبنانَ سُهولًا وجبالا

وبقينا مع لبنانَ جنوبًا وشمالا

وبقينا مع لبنانَ صليبًا وهلالا

٤

آهِ... يا سيّدتي بيروتُ، لو جاءَ السلامْ

ورجعنا كطيور البحر مذبوحينَ شوقًا وحنينا

وبنا شَوقٌ إلى (مَنقوشَة الزعتَر)، والليلِ،

وعِطرِ الياسمينْ...

فمِنَ الجائزِ يا بيروتُ، أن لا تعرفينا

قد تَغيَّرتِ كثيرًا... وتغيَّرنا كثيرا

وكبُرنا نحنُ في عامَينِ، آلافَ السنينْ.

خلاصةُ القضيّة

خلاصةُ القضيّهْ

توجَزُ في عبارهْ

لقد لبسنا قشرةَ الحضارهْ

والروحُ جاهليّهْ...

النمل

ما دخَلَ اليهودُ من حُدودنا

وإنَّما تسرَّبوا كالنمل من عُيوبنا.

مجرّدُ سؤال

جلودُنا ميِّتَةُ الإحساسْ

أرواحُنا تشكو من الإفلاسْ

أيّامُنا تدورُ بينَ الزار، والشطَرَنج، والنعاسْ

هل (نحنُ خيرُ أُمَّةٍ قد أُخرِجَت للناس؟)

يا سيّدي السلطان

لو أحدٌ يمنحني الأمانْ

من عسكر السلطانْ

قلتُ لهُ: يا سيّدي السلطانْ

كلابُكَ المفترساتُ مزَّقَت ردائي

ومخبروكَ دائمًا ورائي...

عيونُهُم ورائي. أنوفُهُم ورائي. أقدامُهُم ورائي.

يستجوبون زوجتي، ويكتبون عندهم أسماءَ أصدقائي

يا سيّدي السلطانْ...

لقد خسرتَ الحربَ مرَّتَينْ

لأنَّ نصفَ شعبنا ليس له لسانْ...

لأنَّ نصفَ شعبنا محاصرٌ كالنمل والجُّرذانْ

في داخلِ الجدرانْ...

ديمقراطيّة الأحذية

يا حضرةَ السلطانْ

لأنَّني اقتَرَبتُ من أسوارِكَ الصمّاءِ

لأنَّني حاولتُ أن أكشِفَ عن حزني وعن بَلائي

ضُرِبتُ بالحذاءِ...

أرغمني جُندُكَ أن آكُلَ من حذائي...

إستراتيجيّة الطرب

إذا خسرنا الحربَ لا غَرابهْ

لأنَّنا ندخُلُها...

بكلِّ ما نملكُ من مواهب الخطابهْ

بالعنتريّاتِ التي ما قَتَلَت ذُبابهْ

لأنَّنا ندخُلُها...

بمنطق الطَبلة والربابهْ...

جرح يمشي

أنا جرحٌ يمشي على قَدَمَيهِ
وخُيولي قد هَدَّها الإعياءُ

فجراحُ الحُسَينِ بعضُ جراحي
وبصدري من الأسى كَربَلاءُ

بلادي

إحترقَ المَسرَحُ من أركانِهِ

ولم يَمُت بَعدُ الممثِّلونْ

أنا يا صديقة...

أنا يا صديقةُ مُتعَبٌ بعروبتي

فهل العروبةُ لَعنَةٌ وعقابُ؟

جهاد

أدخُلُ مثلَ البَرق من نافذة الخليفهْ

أراهُ لا يزالُ مثلما تركتُهُ، منذ قرونٍ سَبعَةٍ

مُضاجعًا جاريةً رُومِيهْ...

أقرأ آياتٍ من القرآن فوق رأسِهِ

مكتوبةً بأحرُفٍ كُوفيّهْ

عن الجهاد في سبيل الله، والرسولِ، والشريعةِ الحنيفهْ

أقولُ في سريرتي:

تباركَ الجهادُ في النُّحُور... والأثداء... والمعاصم الطريّهْ

يا حضرةَ الخليفهْ...

تاريخ

فَكَم مِن رسولٍ قَتَلنا...

وكم مِن إمامٍ ذبحناهُ وهو يصلّي صلاةَ العَشاءْ

فتاريخُنا كلُّهُ محنةٌ

وأيّامُنا كلُّها كَربَلاءْ

حوار ساخن... مع خليفة

أدخُلُ مثلَ الموت من نافذة الخليفهْ

يَحسَبُني مُرتَزِقًا

دبَّجتُ في مديحه قصيدةً هَمزيّهْ

يأمُر لي، من بيتِ مالِ المؤمنينَ، كلَّ ما أطلبُهُ

عباءةً من قَصَبٍ...

وساعةً من ذهبٍ...

ومن نساءِ قصرِهِ محظيّهْ

أبصُقُ فوق وجهِهِ، وفوق وجهِ الدولةِ العليّهْ

من أنتَ؟ يا سيّاف، إقطَعْ رأسَهُ

وهاتِ لي الرأسَ على صينيّهْ

يا ملكَ الزمان إنْ قَتَلتَني

فمستحيلٌ تقتلُ الحرّيّهْ...

عدالة

سألوني، وأنا في غرفة التحقيق، عن مَن حرَّضوني

فضَحِكتْ...

وعنِ المال، وعن مَن مَوَّلوني

فضحِكتْ

كتبوا كُلَّ إفاداتي، ولم يَستَجوِبوني...

الضحك... والحكومة

قال عنّي المدّعي العام، وقال الجُندُ حين اعتقلوني

إنَّني ضدَّ الحكومهْ

لم أكُن أعرف أنّ الضحكَ يحتاجُ لترخيصِ الحُكومهْ

في بلادي...

ممكنٌ أن يكتبَ الإنسانُ ضدَّ اللهِ...

لا ضدَّ الحكومهْ...

الجراثيم

كنتُ بعدَ الظهر في المقهى، وكان المخبرونْ

كالجراثيم، على كلِّ الفناجينِ،

وفي كلِّ الصُحونْ..

إذاعة... إذاعة... إذاعة

أيُّها السادةُ: إنّي وارثُ الأرض الخرابْ

كلَّما جئت إلى باب الخليفهْ...

سائلًا عن قَمَرِ القدس، وعن حيفا ورامَ الله...

أهداني خطابْ...

كلَّما ناديته: يا أميرَ البرّ والبحر، ويا عالي الجَنابْ

سيفُ إسرائيلَ في رقبَتنا...

سيفُ إسرائيلَ في...

ركبَ السيّارة المكشوفَةَ السقف إلى دار الإذاعهْ

ورشاني بخطابْ...

الحكومة هي التي تفكِّر

عساكرٌ بكامل السلاح يدخُلونْ...

عساكرٌ بكامل السلاح يخرجونْ...

مَحاضرٌ... آلاتُ تصويرٍ... مُصَوِّرونْ

يا سادتي: ما النفعُ من إفادتي؟

ما دمتُمُ إن قلتُ أو ما قلتُ، سوف تكتبونْ

ما تنفَع استغاثتي؟

ما دمتُمُ إنْ قلتُ أو ما قلتُ، سوف تضربونْ

ما دمتُمُ منذ حكمتُم بَلَدي، عنّي تُفكِّرونْ

صليب الكتابة

ماذا سأقرأ مِن شِعري، ومِن أدَبي؟

حوافرُ الخيل داسَت عندنا الأدبا

وحاصَرَتنا، وآذَتنا، فلا قَلَمٌ

قالَ الحقيقةَ، إلا اغتيلَ... أو صُلِبا...

إنّـهم يغتصبون امرأةً تُدعى الوَطَن

ما الذي يجري على المسرحِ؟

مَن يجذبُ خيطانَ الستار المُخمليُّ

مَن هو الكاتبُ؟ لا ندري.

منِ المُخرج؟ لا ندري...

ولا الجمهورُ يدري يا بُنَيُّ

إنَّهُم خلفَ الكواليس،

وهُم يغتصبون امرأة تُدعى الوَطَنْ

ويبيعونَ الخلاخيلَ برجلَيها،

يبيعونَ البساتينَ بعَينَيها...

ويبيعونَ بكأسَينِ من الويسكيِّ،

أملاكَ الوَطَن...

يهربُ من مكانه المكان

حين يصير الفِكرُ في مدينةٍ
مُسطَّحًا كحدوة الحِصانْ
مُدَوَّرًا كحدوة الحِصانْ
وتُصبحُ الجرائدُ الموجَّههْ
أوراقَ نَعي تملأ الحيطانْ
حين تصيرُ بلدةٌ بأسرِها
مصيدةً، والناسُ كالفئرانْ
تُهاجرُ الأشجارُ من جذورها
يهربُ من مكانِهِ المكانْ...
وينتهي الإنسانْ.

السيوفُ الخشبية

يا ابنَ الوليد ألا سيفٌ تؤجِّرُه؟

فكلُّ أسيافنا قد أصبحَت خَشَبا...

لو...

لو أُعطى السلطةَ في وَطَني

لَجَلَدتُ الهَمزَةَ في لُغتي، وجَلَدتُ الياءْ

وذَبَحتُ السينَ، وسوفَ، وتاءَ التأنيث البلهاءْ...

والزُّخرُفَ، والخَطَّ الكوفيَّ، وكُلَّ ألاعيب البُلَغاءْ

وكَنَستُ غُبارَ فصاحتِنا

وجميعَ قصائدنا العصماءْ.

الملوكُ الرماد

... وهذا يُجاهِدُ في نَومِهِ...

وفي الصَّحوِ يبكي عليه الجهادْ

وهذا يحاولُ بَعدَكَ مُلكًا

وبَعدَك، كُلُّ الملوكِ رمادْ

الحاكم والعصفور

أتجوّلُ في الوَطَن العربيِّ وليسَ معي إلا دفتَرْ

يُرسلني المخفَرُ للمَخفَرْ

يرميني العَسكرُ للعَسكَرْ

وأنا لا أحملُ في جيبي إلا عصفورْ...

لكنَّ الضابطَ يُوقفني

ويريدُ جوازًا للعصفورْ

تحتاج الكِلمةُ في وَطَني لجواز مُرورْ

الورق اليابس

تَناثَري كالورق اليابِسِ، يا قبائلَ العروبهْ

واقتَتِلي، واختَصِمي، وانتَحِري

يا طَبعَةً ثانيةً من سيرة الأندلسِ المغلوبهْ...

قَمَر

ما الذي يفعلُهُ ضوءُ القَمَرْ؟

ببلادي... ببلادِ الأنبياءْ

وبلادِ البُسَطاءْ

فالملايينُ التي تركضُ من دون نِعالِ

والتي تؤمنُ في أربع زوجاتٍ، وفي يوم القيامهْ

الملايينُ التي لا تلتقي بالخبز إلّا في الخيالِ

والتي تسكُنُ في الليل بُيوتًا من سُعالِ

في بلادي حيث يبكي الأغبياءْ

وينادونَ الهلالْ: يا هلالْ

أيُّها النبعُ الذي يُمطِرُ ماسْ

وحشيشًا... ونُعاسْ

دُمتَ للشرقِ... لنا... عُنقودَ ماسْ

للملايينِ التي قد عُطِّلتْ فيها الحَواسْ...